جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

الاستلاب في معلقة عنترة بن شداد بين الواقع والخيال

الدكتور

مصطفى أحمد عبد اللاه جابر

الأستاذ المساعد في قسم الأدب والنقد ـ كلية اللغة العربية بجرجا

العدد الثالث والعشرون

للعام ١٤٤١هـ / ٢٠١٩م

الجزء التاسع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٩م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص

الاستلاب في معلقة عنترة بن شداد بين الواقع والخيال

حاول هذا البحث أن يسلط الضوء على ظاهرة الاستلاب في معلقة عنترة بن شداد ، تلك الزاوية الخافتة ، التي لم يلتفت لها أحد – فيما أعلم – رغم أن المعلقة كلها قائمة عليها ، كما سيوضح البحث ، ولبيان ذلك اعتمد البحث على المنهجين : التحليلي الفني ، والنفسي ، فقمت بتحليل المعلقة تحليلاً فنياً ، للوقوف على ظاهرة الاستلاب فيها ومعتمداً في ذلك – أيضا – على المنهج النفسي في بيان أثر الاستلاب على الشاعر، وحالته النفسية التي عاشها ، وشكّلت شعره .

كلمات مفتاحية: الاستلاب ، معلقة عنترة ، عنترة ، الواقع ، الخيال

الدكتور

مصطفى أحمد عبد اللاه جابر

الأستاذ المساعد في قسم الأدب والنقد

كلية اللغة العربية بجرجا

Email: Mostafa.A.2020@hotmail.com

Abstract

Al-Astlab in Antara Bin Shaddad's hanging between reality and fiction

This research attempted to shed light on the phenomenon of alienation in the commentator Antar bin Shaddad, that dim angle, which no one turned to - as far as I know - although the hanging is all based on it, as the research will clarify, and to show that the research relied on the two approaches: technical, psychological and analytical , I analyzed the outstanding technically, to determine the phenomenon of alienation and relying on it - also - on the psychological approach in explaining the effect of alienation on the poet, and his psychological state that he lived, and shaped his hair.

Key words: Alastlab, suspended from Antara, Antara, reality, imagination .

Dr.
Mustafa Ahmed Abdel-Allah Jaber
Assistant Professor, Department of Literature and Criticism
The Arabic Language College in Girga
Email: Mostafa.A.2020@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ، ويكافئ مزيده ، ويدفع عنا نقمه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، أفصح العرب لساناً ، وأبلغهم بياناً ، وعلى آ له وصحبه وسلم .

ثم أما بعد ...

فقد صوّر الشعر الجاهلي حياة العرب بكل ما فيها من ايجابيات وسلبيات ، فكان بحق المرآة التي انعكست على صفحتها أفراحهم وأتراحهم، بطولاتهم وانتصاراتهم ، وهزائمهم وإخفاقاتهم .

فكان الشاعر لسان القبيلة ، والمتحدث الرسمي عنها ، والمدافع عنها باللسان ، كما يدافع عنها الفرسان بالسنان ، وقد أعطته القبيلة المكانة العالية ، والمنزلة السامية ، وقابل هو ذلك بأن سخّر فنه وشعره لخدمة قبيلته ، ورفع شأنها بين القبائل ، فذابت شخصيته وهويته في القبيلة ، ولذلك شاع وانتشر الفخر القبلي ، فلا نرى للشاعر وجوداً منفرداً ، وإنما هو مستلب وذائب في القبيلة .

وقلّ الفخر الذاتي ، الذي تعلو فيه نبرة الأنا ، وتكثر فيه الضمائر المفردة ، ولم يظهر هذا إلا عند شعراء ألجأتهم إليه ظروف خاصة ، كالشعراء الصعاليك الذين خلعتهم قبائلهم ، أو الشعراء الذين عانوا الظلم والاضطهاد في قبائلهم ، ولكنهم لم يتركوها ويعيشوا حياة الصعلكة ، فيهون أمرهم ، ويزدريهم ويستضعفهم الناس ، وتتخطفهم الذؤبان ، فعاشوا داخل القبيلة وهم يحملون عذابات النفس ، ومرارات الازدراء والانتقاص .

ومن هؤلاء الشعراء عنترة بن شداد ، ذلكم العبد الأسود ، الذي لم يرفعه إلى مصاف السادة الأحرار إلا فتوته وفروسيته ، ونصرته لقبيلته عبس ، ومع ذلك عانى الاستلاب داخل القبيلة ، وقد تنوعت طرق ووسائل هذا الاستلاب ، فمرة نجده من حبيبته / عبلة ، وأخرى نجده من القبيلة وسادتها كما سنرى .

ولذلك ارتفع عنده صوت الفخر الذاتي ، والاعتداد بالنفس ، وقد ظهر ذلك في كل شعره ، وفي المعلقة خاصة .

ومن هنا جاء هذا البحث الذي حاول أن يسلط الضوء على ظاهرة الاستلاب في المعلقة ، تلك الزاوية الخافتة ، التي لم يلتفت لها أحد – فيما أعلم – رغم أن المعلقة كلها قائمة عليها ، كما سيوضح البحث ، ولبيان ذلك اعتمد البحث على المنهجين : التحليلي الفني ، والنفسي ، فقمت بتحليل المعلقة تحليلاً فنياً ، للوقوف على ظاهرة الاستلاب فيها ومعتمداً في ذلك – أيضا – على المنهج النفسي في بيان أثر الاستلاب على الشاعر، وحالته النفسية التي عاشها ، وشكّلت شعره .

وقد جاء البحث تحت عنوان " الاستلاب في معلقة عنترة بن شداد بين الواقع والخيال "

<u>واقتضت طبيعة البحث أن يجيء في :-</u>

مقدمة ، بينت فيها أهمية البحث ، والمنهج الذي سار عليه .

وتمهيد ، واشتمل على :-

أولاً : نبذة عن عنترة، تضمنت : اسمه ونسبه ، ولقبه وكنيته ، وحبه، وشعره ، ووفاته .

ثانياً : مفهوم الاستلاب لغة واصطلاحاً .

ثالثاً : نص المعلقة .

الاستلاب بين الواقع والخيال ، **وجاء في** :-

أولاً : الاستلاب المكاني

ثانياً : الاستلاب الزماني

ثالثاً : الاستلاب العاطفي

رابعاً : الاستلاب الاجتماعي (العصبية القبلية)

خامساً : استلاب الحرية (اللون)

سادساً : استلاب الحيوان

ثم **الخاتمة** ، وفيها بينت أهم النتائج التي توصل إليها البحث

وأخيراً ، فهرس المصادر والمراجع ، وفهرس الموضوعات .

وبعد ...

فالله أسأل أن يلهمنا الصواب والرشاد ، وأن يجنبنا الخطأ والذلل ، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الباحث / مصطفى أحمد عبد اللاه جابر

أولاً :عنترة بن شداد

اسمه:

هو" عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي "[١] وقد قالوا : " شداد جدّه أبو أبيه ، غلب على اسم أبيه فنسب جدّه أبو أبيه إليه ، وإنما هو عنترة بن عمرو بن شداد " [٢] وقد قيل " شداد عمه ، وكان عنترة نشأ في حجره فنسب إليه دون أبيه ،وإنما ادّعاه أبوه بعد الكبر ، وذلك أنه كان لأمة سوداء يقال لها زبيبة ، وكانت العرب في الجاهلية إذا كان للرجل منهم ولد من أمة استعبده ،وكان لعنترة إخوة من أمه عبيد ،وكان سبب ادّعاء أبي عنترة إياه أن بعض أحياء العرب أغاروا على قوم من بني عبس، فأصابوا منهم ، فتبعهم العبسيون ، فلحقوهم فقاتلوهم عمّا معهم وعنترة فيهم ،فقال له أبوه : كرّ يا عنترة ! فقال عنترة :العبد لا يحسن الكرّ إنما يحسن الحلاب و الصرّ . فقال : كرّ وأنت حر. " [٣]

فما كان من عنترة إلا أن كرّ "وقاتل يومئذ فأبلى واستنقذ ما في أيدي القوم من الغنيمة ، فادّعاه أبوه بعد ذلك . وعنترة أحد أغربة العرب " [٤] وكان عنترة من " أشهر فرسان العرب في الجاهلية ، ومن شعراء الطبقة الأولى . ومن أهل نجد ، وكان من أحسن العرب شيمة ، ومن أعزهم نفساً ،

(١) فحولة الشعراء للأصمعي ٢٨/١ تحقيق د/جميل عبدالله عويضة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م
(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ٢٤٣ - دار الحديث – القاهرة ١٤٢٣هـ
(٣) السابق ١ / ٢٤٣
(٤) أشعار الشعراء الستة الجاهليين للأعلم الشنتمري ١ / ٧٦

يوصف بالحلم على شدة بطشه " [١] وقد حضر حرب داحس والغبراء ، وابلى بلاءً حسناً . [٢]

لقبه وكنيته :-

من ألقابه " يقال له عنترة الفلحاء ، وذلك لتشقق شفتيه " [٣] ولشجاعته "يكنى أبا المغلس " [٤] وذلك " لجرأته في الغلس ، أو لسواده الذي هو كالغلس " [٥]

حبه:-

اشتهر عنه أنه "كان مغرماً بابنة عمه عبلة ، فقل أن تخلو له قصيدة من ذكرها ." [٦] ولكنه كان مستلبا ، فحيل بينه وبين ما يشتهي " وقد عشق عشق عنترة في شبابه بنت عمه عبلة وكان ذلك قبل أن يحرره أبوه ويدّعيه ، فأبى عمه أن يزوجه ابنته وهو عبد، فحفزه ذلك للمعالي وعظائم الأمور وهاج ذلك من شاعريته ،فاجتمع له الشعر السلس القوي والشجاعة النادرة ، والمروءة المأثورة . وقضى عنترة كل عمره في الحروب والقتال وقول الشعر فصارت العرب تعده من فحول أبطالها . [٧]

---

(١) فحولة الشعراء للأصمعي ١ /٢٨
(٢) ينظر: فحولة الشعراء ٢٨/١ ، أشعار الشعراء الستة الجاهليين للاعلم الشنتمري ٧٦/١
(٣) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٨ / ٢٤٤ تحقيق / سمير جابر – دار الفكر بيروت – الطبعة الثانية .من دون تاريخ
(٤) شرح القصائد العشر للتبريزي ١ / ١٧٦ – الناشر / عنيت بتصحيحها وضبطها والتعليق عليها للمرة الثانية إدارة الطباعة المنيرية .
(٥) موسوعة الشعراء الإسلاميين لمجموعة من المؤلفين ٤٦٥ /٦٧
(٦) فحولة الشعراء ١ / ٢٨
(٧) أشعار الشعراء الستة الجاهليين ١ /٧٦

شعره: -

قال الأصمعي عن شعره "وفي شعره رقة وعذوبة " [١] فقد كان فارساً شاعراً ،وكان "عنترة من أشجع الفرسان وأجود العرب بما ملكت يداه ، وكان لا يقول من الشعر إلا البيتين والثلاثة حتى سابّه رجل فذكر سواده وسواد أمه ،وأنه لا يقول الشعر . .. وأما الشعر فستعلم فكان أول ما قاله معلقته المشهورة ." [٢]

وقد" زعموا أنها أول قصيدة قالها ، والعرب تسميها المذهبة ." [٣] ويمتاز "شعر عنترة بعذوبة الأسلوب ، وسهولة اللفظ ،رقة المعني ومعلقته من أجمل المعلقات ،وأكثرها انسجاما وأبدعها وصفاً ، وأشدها حماسة وفخراً ، وله حلاوة الغزل ،ومتانة الفخر "[٤]

وفاته :-

هو من المعمرين فقد" عاش طويلا ، وقتله الأسد الرهيص ، أو جابر بن عمرو الطائي " [٥] وقد عاش "طويلا حتى كبر ومات سنة ٦١٥ م" [٦] وقيل "توفى سنة ٢٢ قبل الهجرة " [٧]

---

(١) فحولة الشعراء ٢٨/١

(٢) أشعار الشعراء الستة الجاهليين ١ /٦

(٣) التذكرة الحمدونية لبهاء الدين البغدادي ٣ / ٤٢٣ دار صادر – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٧ ه .

(٤) أشعار الشعراء الستة الجاهليين ١ /٦٧

(٥) فحولة الشعراء ١ / ٢٨

(٦) أشعار الشعراء الستة الجاهليين ١ /٧٦

(٧) موسوعة الشعراء الإسلاميين لمجموعة من المؤلفين ٥٦٢ /١٠

ثانيا: مفهوم الاستلاب

الاستلاب لغة :

تدور مادة " سلب " في اللغة حول معنى الاختلاس ، و أخذ الشيء بخفة واختطافه ، والأخذ قسراً ، ومنه الحديث الشريف " من قتل قتيلاً فله سلبه " [(١)] ،أي ملابسه وما معه من سلاح وغيره .

ومنه: سلب العقل ، فيقال : رجل مستلب العقل ،أي فاقده . والسلبة : خيط يشد على خطم البعير دون الخطام . والسلاب : الثياب السود تلبسها النساء في المأتم ، يقال : تسلب النساء إذا فعلن ذلك . والسلوب من النوق والنساء التي ترمي بولدها قبل أن يتم ، أو التي مات ولدها .

---

(١) ينظر: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة ٦/ ٤٧٨ – تحقيق / كمال يوسف الحوت – الناشر / مكتبة الراشد – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٠٩ ه ، سنن الدارمي ٣ / ١٦١٤– تحقيق / حسين سليم أسد الدارائي – الناشر / دار المغني للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية الطبعة الأولى ١٤١٢ ه – ٢٠٠٠ م ، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ٥/ ١٤٧ – مجموعة من المحققين – الناشر /دار الجبل – بيروت – الطبعة / مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة ١٣٣٤ ه ، الجامع الكبير سنن الترمزي ١٨٣/٣ تحقيق / بشار عواد معروف – الناشر / دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٩٩٨ م ، سنن أبي داوود ٣٥١/٤ تحقيق / شعيب الأرنؤوط ، محمد كامل قرة بللي . دار الرسالة العالمية – الطبعة الأولى ١٤٣٠ ه– ٢٠٠٩م ، والمعجم الكبير للطبراني /٣٤٥ تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي – مكتبة ابن تيميه – القاهرة .من دون تاريخ ،سنن البيهقي الكبرى للبيهقي ٦ /٣٠٧ تحقيق /محمد عبد القادر عطا – الناشر / مكتبة دار الباز – مكة المكرمة ١٤١٤ ه – ١٩٩٤ م .

وهكذا نجد أن مادة " سلب " دارت حول : الاختلاس ، وأخذ الشيء بخفة ، والاختطاف ، والأخذ قهراَ ، والفقد : سواء أكان للعقل أو الولد .[١]

الاستلاب اصطلاحًا :-

هو "حال الفرد الذي يكون – نتيجة لظروف خارجة عن إرادته ، اقتصادية أو دينية أو سياسية – قد انقطع عن الانتماء إلي نفسه أو عن الشعور بأنه المتصرف في نفسه ، فيعامل معاملة الشيء ، بل يصبح عبداَ للأشياء ، بل عبداَ لإنجازات الإنسانية من الاختراعات الآلية والنظم الاجتماعية والأوضاع السياسية التي تثور ضده وتنقلب عليه "[٢]

---

(١) ينظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ١ / ١٨٤ تحقيق / أحمد عبد الغفور عطا – الناشر /دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الرابعة ١٤٠٧ ه –١٩٨٧م، جمهرة اللغة لابن دريد ١ / ٢٤٠ تحقيق / رمزي منير بعلبكي – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٨٧ م . ،تهذيب اللغة للأزهري ١٢ /٤٣٤ تحقيق / عبد السلام محمد هارون – راجعه / محمد علي النجار – الناشر دار القومية العربية للطباعة ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م ، مجمل اللغة لابن فارس ٤٧٠/١ دراسة وتحقيق / زهير عبد المحسن سلطان – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية ١٤٠٦ه – ١٩٨٦ م ، مختار الصحاح لأبي بكر الرازي ١٥١/١ تحقيق /يوسف الشيخ محمد – الناشر /المكتبة العصرية – الدار النموذجية – بيروت – صيدا – الطبعة الخامسة ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م . ، لسان العرب لابن منظور ٣ / ٢٠٥٧ تحقيق / عبدالله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي – الناشر / دار المعارف – القاهرة – مصر. ، القاموس المحيط للفيروز آ بادي ١ /٩٧ تحقيق / مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف /محمد نعيم العرقصوصي – الناشر / مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان الطبعة الثامنة ١٤٢٦ ه – ٢٠٠٥ م . ، تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ٣ /٦٩ – تحقيق / مجموعة من المحققين – الناشر / دار الهداية .

(٢) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب – مجدي وهبة ، وكامل المهندس ص٣١ مكتبة لبنان ، بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ١٩٨٤م

فمصطلح الاستلاب لا يخرج "عن إطار الإكراه والأخذ والتخلي والطغيان والظلم والتنازل الشعوري أو اللا شعوري ، أو بتعبير آخر حلول إرادة أخرى محل إرادة الشخص ، لأن وضع الآخر تحت سلطان المراقبة ، وإلزامه بالتفريط في وضعيته الخاصة في إطار مجتمعه "(١)

وقد وردت كلمة الاستلاب في الشعر القديم ، ودارت حول المعاني السابقة ، ومن ذلك قول أمية بن أبي الصلت : (٢)

إذا ماتت تورثه بنيها وإن تقتل فليس لها استلاب

كما وردت في شعر أبي تمام ، وذلك في قوله: (٣)

عوجاء تستف الزمام وتحتذي عوجاً يجدن لها استلاب النفنف

كما وردت في شعر البحتري : (٤)

أقمنا أكلنا أكل استلاب هناك وشربنا شرب بدار

فالشخصية المستلبة "تعاني من القهر والإحباط ، والعزلة ، وتعيش عالمها الداخلي تجتر ذاتها وتلوك أمانيها وتعيش في أحلام اليقظة ، وتنسج بخيالها أحلاماً وردية تعوض فيها إخفاقها في عالم الواقع الذي يمتلكه الأقوياء " (٥)

فهل هذه الشخصية المستلبة بكل صفاتها تلك تنطبق علي عنترة في معلقته؟ هذا ما ستفصح عنه تلك الدراسة .

---

(١) الاستلاب في الشعر الجاهلي – محمد راوي ص٤٩ مجلة الآداب العدد ٨ ،جامعة منتوري قسنطينة – كلية الآداب واللغات – قسم اللغة العربية وآدابها ٢٠٠٥م .

(٢) ديوان أمية أبن أبي الصلت ص٢٥ جمع وتحقيق د / سميح جميل الجبيلي دار صادر – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٩٨م .

(٣) ديوان أبي تمام شرح الخطيب التبريزي ٢/ ٣٩٨– مطبعة دار المعارف الطبعة الرابعة .

(٤) ديوان البحتري ٢/٢٨١– دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان _ الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

(٥) بناء الرواية (دراسة في الرواية المصرية) د/ عبد الفتاح عثمان ص١٢٠ – مكتبة الشباب – القاهرة الطبعة الأولى١٩٨٢م .

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

ثالثاً : معلقة عنترة بن شداد العبسي

هَـلْ غَـادَرَ الشُّـعَرَاءُ مِـنْ مُتَـرَدَّمِ ∴ أم هَـلْ عَرَفْـتَ الـدَّارَ بعـدَ تَوَهُّـمِ

يَـا دَارَ عَبْلَـةَ بِـالجَوَاءِ تَكَلَّمِـي ∴ وَعِمِّـي صَـبَاحاً دَارَ عبْلَـةَ واسـلَمِي

فَوَقَفْـتُ فيهـا نَـاقَتي وكَأنَّهَـا ∴ فَـدَنٌ لأَقْضِـي حَاجَـةَ المُتَلَـوِّمِ

وتَحُـلُّ عَبلَـةُ بِـالجَوَاءِ وأَهْلُنَـا ∴ بالحَـزنِ فَالصَّمَـانِ فَالمُتَثَلَّـمِ

حُيِّيْـتَ مِـنْ طَلَـلٍ تَقَـادَمَ عَهْـدُهُ ∴ أَقْـوى وأَقْفَـرَ بَعـدَ أُمِّ الهَيْثَـمِ

حَلَّـتْ بِـأَرض الزَّائِـرينَ فَأَصْـبَحَتْ ∴ عسِـراً علـيَّ طِلاَبُـكِ ابنَـةَ مَخْـرَمِ

عُلِّقْتُهَـا عَرْضـاً وأقْتُـلُ قَوْمَهَـا ∴ زعمـاً لعَمـرُ أبيـكَ لَـيسَ بِمَزْعَـمِ

ولقـد نَزَلْـتِ فَـلا تَظُنِّـي غَيْـرهُ ∴ منّـي بِمَنْـزِلَةِ المُحِـبِّ المُكْـرَمِ

كَـيفَ المَـزارُ وقـد تَربَّـع أَهْلُهَـا ∴ بِعُنَيْـزَتَيْـنِ وأَهْلُنَـا بِالغَيْلَـمِ

إنْ كُنْـتِ أزْمَعْـتِ الفِـراقَ فَإنَّمَـا ∴ زَمَّـتْ رِكَـائِبُكُمْ بِلَيْـلٍ مُظْلِـمِ

مَـا رَاعَنـي إلاَّ حَمولَـةُ أَهْلِهَـا ∴ وسْـطَ الـدِّيَارِ تَسُـفُّ حَبَّ الخِمْخِـمِ

فِيهَـا اثْنَتَـانِ وأَرْبعـونَ حَلُوبَـةً ∴ سُـوداً كَخَافِيـةِ الغُـرَابِ الأَسْحَـمِ

إذْ تَسْـتَبِيْكَ بِـذِي غُـروبٍ وَاضِـحٍ ∴ عَـذْبٍ مُقَبَّلُـهُ لَذِيـذُ المَطْعَـمِ

وكَـأَنَّ فَـارَةَ تَـاجِرٍ بِقَسِيْمَـةٍ ∴ سَـبَقَتْ عوَارِضَـها إليـكَ مِـن الفَـمِ

أوْ رَوْضَـةً أُنُفـاً تَضَـمَّنَ نَبْتَهَـا ∴ غَيْـثٌ قليـلُ الـدَّمنِ لـيسَ بِمَعْلَـمِ

جَـادَتْ عليـهِ كُـلُّ بِكـرٍ حُـرَّةٍ ∴ فَتَـرَكْنَ كُـلَّ قَـرَارَةٍ كَالدِّرْهَـمِ

سَحّـاً وتَسْـكاباً فَكُـلَّ عَشِيَّـةٍ ∴ يَجْـرِي عَلَيهـا المَـاءُ لَـم يَتَصَـرَّمِ

وَخَلَـى الـذُّبَابُ بِهَـا فَلَـيسَ بِبَـارِحٍ ∴ غَـرِداً كَفِعْـلِ الشَّـارِبِ المُتَرَنِّـمِ

هَزِجـــاً يَحُـــكُّ ذِراعَـــهُ بِذِراعِـــهِ ∴ قَـــدْحَ المُكَـــبِّ علـــى الزِّنَـــادِ الأَجْـــذَمِ
تُمْسِـي وتُصْـبِحُ فَـوْقَ ظَهْـرِ حَشِـيّةٍ ∴ وأَبِيـتُ فَـوْقَ سـرَاةِ أدْهَـمَ مُلْجَـمِ
وَحَشِـيَّتي سَـرْجٌ علـى عَبْـلِ الشَّـوَى ∴ نَهْـدٍ مَرَاكِلُـهُ نَبِيـلِ المَحْـزِمِ
هَـــل تُبْلِغَنِّـــي دَارَهَـــا شَدَنِيَّـــةَ ∴ لُعِنَـــتْ بِمَحْـــرُومِ الشَّـــرابِ مُصَـــرَّمِ
خَطَّـــارَةٌ غِـــبَّ السُّـــرَى زَيَّافَـــةٌ ∴ تَطِـسُ الإِكَـامَ بِوَخـذِ خُـفٍّ مِيْـثَمِ
وكَأَنَّمَـا تَطِـسُ الإِكَـامَ عَشِيَّـةً ∴ بِقَـــرِيبِ بَـــينَ المَنْسِـــمَيْنِ مُصَلَّـــمِ
تَـأْوِي لَـهُ قُلُـصُ النَّعَـامِ كَمَـا أَوَتْ ∴ حِـــزَقٌ يَمَانِيَّـــةٌ لأَعْجَـــمَ طِمْطِـــمِ
يَتْبَعْـــنَ قُلَّـــةَ رأْسِـــهِ وكَأَنَّـــهُ ∴ حَـــرَجٌ علـــى نَعْـــشٍ لَهُـــنَّ مُخَيَّـــمِ
صَـعْلٍ يعُـودُ بِـذِي العُشَـيرَةِ بَيْضَـةُ ∴ كَالعَبْـدِ ذِي الفَـرْوِ الطَّوِيـلِ الأَصْـلَمِ
شَـرِبَتْ بِمَـاءِ الدُّحرُضَـينِ فَأَصْـبَحَتْ ∴ زَوْرَاءَ تَنْفِـرُ عَـن حِيَـاضِ الدَّيْلَـمِ
وكَأَنَّمَـا يَنْـأَى بِجَـانِبِ دَفِّهَـا الـ ∴ وَحْشِـيِّ مِـنْ هَـزِجِ العَشِـيِّ مُـؤَوَّمِ
هِـــرٍّ جَنِيـــبٍ كُلَّمَـــا عَطَفَـــتْ لَـــهُ ∴ غَضَـبَ اتَّقَاهَـا بِاليَـدَينِ وَبِالفَـمِ
بَرَكَـتْ عَلَـى جَنـبِ الـرِّدَاعِ كَأَنَّـما ∴ بَرَكَـتْ عَلَـى قَصَـبٍ أَجَـشَّ مُهَضَّـمِ
وكَـــأَنَّ رُبَّـــا أَوْ كُحَـــيْلاً مُقْعَـــداً ∴ حَـشَّ الوَقُـودُ بِـهِ جَوَانِـبَ قُمْقُـمِ
يَنْبَـاعُ مِـنْ ذِفْـرَى غَضُـوبٍ جَسـرَةٍ ∴ زَيَّافَـــةٍ مِثْـــلَ الفَنِيـــقِ المُكْـــدَمِ
إِنْ تُغْـدِفِي دُونِـي القِنَـاعَ فَإِنَّنِـي ∴ طَـــبٌّ بِأَخْـــذِ الفَـــارِسِ المُسْتَلْئِـــمِ
أَثْنِـي عَلَـيَّ بِمَـا عَلِمْـتِ فَإِنَّنِـي ∴ سَمْـــحٌ مُخَـــالِقَتِي إِذَا لم أُظْلَـــمِ
وإِذَا ظُلِمْـتُ فَـإِنَّ ظُلْمِـي بَاسِـلٌ ∴ مُـــرٌّ مَذَاقَتُـــهُ كَطَعْـــمِ العَلْقَـــمِ
ولقَـد شَـرِبْتُ مِـنَ المُدَامَـةِ بَعْدَمَـا ∴ رَكَـدَ الهَـوَاجِرُ بِالمَشُـوفِ المُعْلَـمِ
بِزُجَاجَـــةٍ صَـــفْرَاءَ ذَاتِ أَسِـــرَّةٍ ∴ قُرِنَـتْ بِـأَزْهَرَ فِي الشَّـمَالِ مُفَـدَّمِ

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

فـــإذَا شَـــرِبْتُ فـــإنَّنِي مُسْتَهْلِـــكٌ ∴ مَالـــي وعِرْضـــي وافِـــرٌ لَـــم يُكلَـــمِ

وإذَا صَـحَوتُ فَمـا أُقَصِّـرُ عـنْ نَـدَىً ∴ وكَمـــا عَلمـــتِ شَـــمائِلي وتَكَرُّمـــي

وحَلِـــيلِ غَانِيـــةٍ تَرَكْـــتُ مُجـــدَّلاً ∴ تَمكُـــو فَرِيصَـــتُهُ كَشَـــدْقِ الأَعْلَـــمِ

سَبَقَـتْ يَـدايَ لَـهُ بِعاجِـلِ طَعْنَـةٍ ∴ ورِشَـــاشِ نافِـــذَةٍ كَلَـــوْنِ العَنْـــدَمِ

هَـلاَّ سـأَلْتِ الخَيـلَ يـا ابنـةَ مالِـكٍ ∴ إنْ كُنْـتِ جاهِلَـةً بِـمَا لَـم تَعْلَمِـي

إذْ لا أزَالُ عَلَـــى رِحَالَـــةِ سَابِـــحٍ ∴ نَهْـــدٍ تعـــاوَرُهُ الكُمـــاةُ مُكَلَّـــمِ

طَـــوْراً يُـــجَرَّدُ للطِّعَـــانِ وتَـــارَةً ∴ يَـــأْوِي إلى حَصِـــدِ القِسِـــيِّ عَرَمْـــرِمِ

يُخْبِـرِكِ مَـنْ شَـهِدَ الوَقِيعَـةَ أنَّنِـي ∴ أَغْشَـى الـوَغَى وأَعِـفُّ عِنْـد المَغْنَـمِ

ومُـــدَّجِجٍ كَـــرِهَ الكُمـــاةُ نِزَالَـــهُ ∴ لامُمْعِـــنٍ هَـــرَباً ولا مُسْتَسْلِـــمِ

جَـادَتْ لَـهُ كَفِّـي بِعاجِـلِ طَعْنَـةٍ ∴ بِمُثَقَّـفٍ صَـدْقِ الكُعُـوبِ مُقَـوَّمِ

فَشَكَكْـتُ بِـالرُّمْحِ الأَصَـمِّ ثِيابَـهُ ∴ ليـسَ الكَـرِيمُ علـى القَنـا بِمُحَـرَّمِ

فتَـــرَكْتُهُ جَـــزَرَ السِّبَـــاعِ يَنَشْنَـــهُ ∴ يَقْضِمْـــنَ حُسْـــنَ بَنانِـــهِ والمِعْصَـــمِ

ومِشَـكٍّ سـابِغَةٍ هَتَكْـتُ فُروجَهـا ∴ بِالسَّيف عـنْ حَـامِي الحَقِيقَـةِ مُعْلِـمِ

رَبِـــذٍ يَـــدَاهُ بالقِـــدَاحِ إذَا شَتَـــا ∴ هَتَّـــاكِ غَايـــاتِ التِّجَـــارِ مُلَـــوَّمِ

لـــمَّا رَآنِـــي قَـــدْ نَزَلْـــتُ أُرِيـــدُهُ ∴ أَبْـــدَى نَواجِـــذَهُ لِغَيـــرِ تَبَسُّـــمِ

عَهِـدِي بِـهِ مَـدَّ النَّهـارِ كَأَنَّمـا ∴ خُضِـبَ البَنَـانُ ورَأْسُـهُ بِالعَظْلَـمِ

فَطعَنْتُـــهُ بِالرُّمْـــحِ ثُـــمَّ عَلَوْتُـــهُ ∴ بِمُهَنَّـــدٍ صَـــافِي الحَدِيـــدَةِ مِخْـــذَمِ

بَطَـــلٌ كَـــأَنَّ ثِيـــابَهُ فِي سَرْجَـــةٍ ∴ يُحْـذَى نِعَـالَ السِّـبْتِ لَـيْسَ بِتَـوْأَمِ

يَاشَـاةَ مَـا قَـنَصٍ لِمَـنْ حَلَّـتْ لَـهُ ∴ حَـــرُمَتْ عَلَـــيَّ وَلَيْتَهَـــا لم تَحْـــرُمِ

فَبَعَثْتُ جَارِيَتي فَقُلْتُ لها اذْهَبي ∴ فَتَجَسَّسي أَخْبارَها لِيَ واعْلَمي
قَالَتْ : رَأيتُ مِنَ الأَعادِي غِرَّةً ∴ والشَاةُ مُمْكِنَةٌ لِمَنْ هُو مُرْتَمي
وكَأَنَّمَا التَفَتَتْ بِجِيدِ جَدَايَةٍ ∴ رَشَاءٍ مِنَ الغِزْلانِ حُرٍ أَرْثَمِ
نُبِّئْتُ عَمْراً غَيْرَ شَاكِرِ نِعْمَتي ∴ والكُفْرُ مَخْبَثَةٌ لِنَفْسِ المُنْعِمِ
ولَقَدْ حَفِظْتُ وَصَاةَ عَمِّي بِالضُّحَى ∴ إِذْ تَقْلِصُ الشَّفَتَانِ عَنْ وَضَحِ الفَمِ
في حَوْمَةِ الحَرْبِ التي لا تَشْتَكي ∴ غَمَرَاتِها الأَبْطَالُ غَيْرَ تَغَمْغُمِ
إِذْ يَتَّقُونَ بِيَ الأَسِنَّةَ لم أَخِمْ ∴ عَنْها ولَكِنِّي تَضَايَقَ مُقْدَمي
لَمَّا رَأَيْتُ القَوْمَ أَقْبَلَ جَمْعُهُمْ ∴ يَتَذَامَرُونَ كَرَرْتُ غَيْرَ مُذَمَّمِ
يَدْعُونَ عَنْتَرَ والرِّمَاحُ كَأَنَّها ∴ أَشْطَانُ بِئْرٍ في لَبَانِ الأَدْهَمِ
مازِلْتُ أَرْمِيهُمْ بِثُغْرَةِ نَحْرِهِ ∴ ولِبَانِهِ حَتَّى تَسَرْبَلَ بِالدَّمِ
فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ القَنَا بِلِبانِهِ ∴ وشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ
لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا المُحَاوَرَةُ اشْتَكَى ∴ وَلَكَانَ لَوْ عَلِمَ الكَلامَ مُكَلِّمِي
ولَقَدْ شَفَى نَفْسي وَأَذْهَبَ سُقْمَهَا ∴ قِيْلُ الفَوارِسِ وَيْكَ عَنْتَرَ أَقْدِمِ
والخَيْلُ تَقْتَحِمُ الخَبَارَ عَوَابِساً ∴ مِن بَيْنَ شَيْظَمَةٍ وَآخَرَ شَيْظَمِ
ذُلُلٌ رِكَابِي حَيْثُ شِئْتُ مُشَايِعِي ∴ لُبِّي وأَحْفِزُهُ بِأَمْرٍ مُبْرَمِ
ولَقَدْ خَشَيْتُ بِأَنْ أَمُوتَ ولَم تَدُرْ ∴ لِلحَرْبِ دَائِرَةٌ على ابْنَي ضَمْضَمِ
الشَّاتِمِيْ عِرْضِي ولَم أَشْتِمْهُمَا ∴ والنَّاذِرَيْنِ إِذْ لَم أَلْقَهُمَا دَمِي
إِنْ يَفْعَلا فَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَاهُمَا ∴ جَزَرَ السِّبَاعِ وكُلِّ نِسْرٍ قَشْعَمِ

الاستلاب في المعلقة بين الواقع والخيال

من يتأمل معلقة عنترة بن شداد ، يشعر فيها بمرارة الاستلاب الذي يعانيه الشاعر ، وقد تنوع هذا الاستلاب وتعدد ، وانعكس علي الجماد والحيوان والإنسان . كما سنرى في تناولنا له في المعلقة .

أولاً الاستلاب المكاني

وقد تجسد في لوحة الطلل في بداية المعلقة ،حيث يقول عنترة ، متحدثاً عن دار محبوبته عبلة :

هل غادر الشعراءُ من مُتَـردّم ∴ أم هل عرفتَ الدارَ بعد تَوَهُّمِ
أعياكَ رسمُ الدارِ لم يتكلَّمِ ∴ حتى تكلّم كالأصمِّ الأعجمِ
ولقد حبستُ بها طويلاً ناقتي ∴ أشكو إلى سُفعٍ رواكدَ جُثَّـمِ
يا دارَ عبلةً بالجواءِ تكلّمي ∴ وعِمِي صباحاً دارَ عبلةَ واسلمي
دارُ لآنسةٍ غضيضٍ طرفُها ∴ طوع العناقِ لذيذةِ المتبسَّمِ
فوقفت فيها ناقتي وكأنها ∴ فَدَنٌ لأقضيَ حاجةَ المُتَلَـوِّمِ
وتحُلُّ عبلةُ بالجواءِ وأهلُنا ∴ بالحَزنِ فالصمَّانِ فالمُتَثَلّمِ
حييتَ من طللٍ تقادمَ عهدُهُ ∴ أقوى وأقفَرَ بعد أمِّ الهيثمِ [1]

---

(١) ديوان عنترة تحقيق ودراسة ــ محمد سعيد مولوي ص ١٨٢ : ١٨٥– المكتبة الإسلامية بحث ماجستير / كلية الآداب – جامعة القاهرة ١٩٦٤ م .

ــ معاني الكلمات : متردم : ردمت الثلمة أي سددتها ، والرديم : الثوب الخلق ، والمتردم : الموضع الذي يرقع . ينظر :الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ١٩٣٠/٥ و "ردم كلامه وتردّمه : تتبعه حتى أصلحه وسدّ خلله" . أساس البلاغة للزمخشري ١/ ٣٤٨ تحقيق / محمد باسل عيون السود – دار الكتب العلمية بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٩ ه – ١٩٩٨ م . سفع : السُّفعُ : أثفية من حديد يوضع عليها القدر . الواحدة سفعاء ، =

تنوع الاستلاب في هذا المطلع الطللي ، وقد تجلى ذلك في الاستلاب المعرفي / الثقافي ، وذلك في الشطر الأول من المطلع :هل غادر الشعراء من متردم .....

"المتردم " : الموضع الذي يسترقع ويستصلح لما اعتراه من الوهن والوهى . والتردم أيضا مثل الترنم ، وهو ترجيع الصوت مع تحزين :

يقول : هل تركت الشعراء موضعاً مسترقعاً إلا وقد رقعوه وأصلحوه؟

وهذا استفهام يتضمن معنى الإنكار ، أي لم يترك الشعراء شيئاً يصاغ فيه شعر إلا وقد صاغوه فيه ، وتحرير المعنى : لم يترك الأول للآخر شيئاً ،أي سبقني من الشعراء قوم لم يتركوا لي مسترقعا أرقعه ومستصلحاً أصلحه ، وإن حملته على الوجه الثاني كان المعنى : إنهم لم يتركوا شيئاً إلا رجّعوا نغماتهم بإنشاء الشعر وإنشاده في وصفه ورصفه . "[1]

= وسمى سفعاً لسواده . (العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ١/ ٣٤٠ تحقيق د / مهدي المخزومي ، د / إبراهيم السامرائي . الناشر / دار ومكتبة الهلال ركد : الراء والكاف والدال أصل يدل على سكون . يقال ركد الماء : سكن .وركد القوم ركودا :سكنوا وهدءوا .(مقاييس اللغة ٤٣/٢) "جثم " : جثم الطائر يجثم ..جثماً وجثوما إذا ألصق صدره بالأرض .(جمهرة اللغة لابن دريد ٤١٥/١) . " بالجواء . (جوا) الجواء : البطن من الأرض . والجواء : موضع بعينه .(جمهرة اللغة لابن دريد ١ / ٣٣٠ ، تهذيب اللغة للأزهري ٢٢٨/١١ ، فدن : الفدن : القصر . الصحاح تاج اللغة العربية للجوهري ٦ /٢٢٨ " الحزن ، الصمان : قلت : وفي بلاده العرب حزنان : أحدهما : حزن بني يربوع ، وهو مَربَعٌ من مرابع العرب فيه رياض وقيعان ،وكانت العرب تقول :من تربع

ـ "الحزن وتشتّي الصِّمَّان وتقيّظ الشرف فقعد أخصب . والحزن الآخر : ما بين زُبالة فما فوق ذلك مصعدا في بلاد نجد ،وفيه غلظ وارتفاع . (تهذيب اللغة للأزهري ٢١٢/٤

ـ " المتثلم": قلت : ورأيت بناحية الصمان موضعا يقال له : التلم (تهذيب اللغة ٩٢/١٥)

(١) ديوان عنترة ص١٥ دار صادر – بيروت

فالشاعر يقر بعجزه واستلابه المعرفي /الثقافي منذ الزفرة الأولى التي تعد من مفاتيح القصيدة ، وقد بنى الكلام على الاستفهام الإنكاري ، الذي يفيد الشمول والعموم ، والاستسلام والخنوع ،وأنه لن يأتي بجديد في الفن الشعري . كما أنه يشير – عنترة – إلى الثنائية التي دارت عليها المعلقة ، وهي الماضي السعيد في مواجهة الحاضر الحزين الذي عبرّ عنه بالتردم ، أو الترنم ، وهو يكون من الإنسان الحزين ،الذي ينعكس حزنه على صوته فيغلفه بالحزن ، فلم يترك قدامى الشعراء للمتأخرين شيئا من فنون القول إلا و وفوه حقه .

ثم ينتقل الشاعر إلى نوع آخر من الاستلاب ، وهو استلاب المكان / الطلل .

..... ∴ أم هل عرفت الدار بعد توهم

أعياك رسم الدار لم يتكلم ∴ حتى تكلّم كالأصّم الأعجم

إلى قوله :-

حييت من طلل تقادم عهده ∴ أقوى وأقفر بعد أم الهيثم

ففي هذه الأبيات نجد ثنائية الماضي والحاضر تبدو واضحة ، فديار المحبوبة / عبلة كانت في الماضي عامرة بأهلها ، تموج بالحياة ، وتلفها السعادة ، ويغمرها السرور.

وفي المقابل نجد صورتها في الحاضر ،وقد استلبها الزمن ،وأحالها إلى الفناء والعدم ،والموت والزوال ، وقد تسبب هذا في إحداث صدمة نفسية عميقة للشاعر ، فقد على إثرها توازنه النفسي والعقلي ، فالتبس عليه المكان ، وانمحت آثار الديار ، فلم يعرفها إلا بعد لأي ومشقة ، ولذلك

شاعت ألفاظ الحيرة والتردد، والخفاء وعدم الإبانة والشك (هل عرفت – توهم – أعياك الأصم – الأعجم – طلل تقادم عهده – أقوى – أقفر). فاستلاب الطلل يجسّد فقدان الوطن ، والأهل والأحبة والسعادة والسرور ، والاستقرار الحسي والمعنوي .....الخ

وقد تبدل كل ذلك بالفناء والعدم ، والموت والزوال والقلق النفسي والاغتراب والضياع ، وينتج عن كل ذلك ،اهتزاز النفس واضطرابها ،والتصدع وعدم التماسك ،

وقد ظهر ذلك في تكرار الألفاظ والمعاني كقوله :

أعياك رسم الدار لم يتكلم ∴ حتى تكلم كالأصم الأعجم ،

وبالجواء تكلمي، ومثل (ولقد حبست بها طويلا ناقتي ، فوقفت فيها ناقتي)، ومثل (طلل تقادم عهده – أقوى وأقفز)، فنجد – هنا – المعاني مكرورة ، وكذلك الألفاظ ومما يدل – أيضا –على الحيرة والتصدع كثرت الاستفهامات ،مثل : (هل غادر الشعراء ، أم هل عرفت الدار ، أعياك رسم الدار) وهذا يدل على الدهشة والحيرة والاضطراب، والشك المسيطر ، ولذلك يخاطب الدار ، ويطلب منها أن تتكلم مع علمه بأنها صماء خرساء ،لا تسمع ، ولا تتكلم ، فيقول : (أعياك رسم الدار لم يتكلم ، يا دار عبلة بالجواء تكلمي) وهذا يدل على فقدان التوازن ، والاستلاب ، والألم .

ويظهر الاستلاب المكاني أيضا في قوله : أشكو إلى سفح ركود جُثِمِ، فنراه يجعل الأحجار فاقدة للحركة ، جاثمة في مكانها لا تفارقه ، وهى متوشحة بالسواد (سفع) فهذا السواد الخارجي المتمثل في أحجار الكانون يعكس لنا السواد الداخلي للشاعر ، والظلمة النفسية المنعكسة عن رحيل

المحبوبة عن تلك الديار .ولكنه مع كل ذلك يتمسك بالحياة ، ويخلعها على المحبوبة ودارها ، فنجد الحياة ومقوماتها تتخلل الفناء والموت ، فإذا كانت الدار لا تتكلم وهذا يوهم بالموت ، نلاحظ أنه استنقذها من الموت ، فألح عليها بالكلام حتى تكلمت ، فالكلام دلالة على الحياة (حتى تكلم كالأصم الأعجم).وكذلك نجده قد أوقف ناقته وحبسها طويلاً في دار عبلة ،وهذا – أيضا – دلالة على تشبثه وتمسكه بالحياة : (ولقد حبست بها طويلا ناقتي ، فوقفت فيها ناقتي) . ثم في دعوته لها بالنعيم والسعادة والسلامة والحياة ما يدل على مقاومته للموت والفناء : (٠وعمي صباحاَ دار عبلة واسلمي ، حييت من طلل). ثم في إضافة الدار إلى عبلة ، وتكرارها بالاسم والكنية ، ما يشيع البهجة والسرور في النفس ، ويدفع الكآبة عنها : (يا دار عبلة بالجواء تكلمي ، –وعمي صباحاً دار عبلة ، وتحل عبلة بالجواء ، أ م الهيثم ،دار لآنسة .)

ثم يستحضر صورة حسية للمحبوبة /عبلة من الزمن الماضي الجميل ويجعلها في مواجهة الحاضر المتهدم الحزين ، فيقول :

دار لآنسة غضيض طرفها ∴ طوع العناق لذيذ المتبسم

وكأنه أراد أن ينفض عن نفسه الكآبة والحزن بالهروب إلى الماضي، وما فيه من متع حسية عاشها ، وأشبع نفسه منها – حقيقة ، أو تخيلا – وهذا منهج فني سلكه عنترة في كل شعره ، وفي المعلقة – على وجه الخصوص – فكلما شعر بالاستلاب ،ولم يستطع المقاومة والدفع ،فرّ من الحاضر إلى الماضي الذي يشعر فيه بذاته ، وفرّ من الواقع إلى دنيا الخيال، كما سنرى فيما سيأتي .

ثانياً : الاستلاب الزماني

وقد تجلى ذلك واضحاً في فعل الزمن في ديار المحبوبة – كما رأينا في الاستلاب المكاني – فقد استلب الزمن وطوله جدتها وحسنها وبهاءها وحولها إلى طلل تقادم عهده ، أقوى و أقفر .

وقد عبّر عن طول الزمن وامتداده المتناهي بقوله "تقادم" التي تشعر بشدة البعد والقدم ، فهو قد بلغ الغاية .

وقد جعلها – الدار – رسماً ، لا يكاد يبين ، وبعد أن كانت تموج بالحركة والحياة ، تحولت إلى "سفع رواكد جثم ".

فالزمان يحاول القضاء على حياة الدار ، التي هي حياة الشاعر ، وهو يقف مسلوب الإرادة تجاه هذا الزمن وعواديه ، ولا يملك إلا الارتداد إلى الماضي واجترار الذكريات ،كما بينت .

وقد جاء الاستلاب الزماني – أيضا – للشاعر في أنه كتب عليه الفراق ، وذلك بأن باعد دياره عن ديار المحبوبة / عبلة ، فيقول :

وتحُل عبلةُ بالجِواءِ وأهلُنا ∴ بالحزن فالصمَّان فالمتثلّم(١)
شطّت مزار العاشقين فأصبحت ∴ عسيراً علىّ طِلابُكِ ابنةَ مَخرَم(٢)
كيف المزار وقد تربع أهلها ∴ بعنيزتين وأهلنا بالغيلم (٣)
هل تبلغنّي دارها شدنيّة ∴ لعنت بمحروم الشراب مصرّم (٤)

---

(١) الديوان ص١٨٥
(٢) السابق ص ١٨٦
(٣) السابق ص ١٨٧
(٤) السابق ص ١٩٩

فقد كتب عليهما الزمان بُعد الدار ، فأصبحت الزيارة والتلاقي أشبه بالمحال (عسراً عليّ طلابك ابنة مخرم) ولذلك جاء بالاستفهام الذي يصور الاستلاب ويجسده (كيف المزار ، هل تبلغنّي دارها ..) ونلاحظ تعدد الأماكن وكثرتها (الجواء، الحزن ، الصمّان ، المتثلم ، عنيزتين ، الغيلم) وهي تدل على التشتت والتمزق ، وفعل الدهر بهما ، وتغلغله في تحديد مصيرهما .

ويلاحظ أيضا أنه وصف عبلة بالاستقرار النفسي والمكاني فقال : " وتحل عبلة بالجواء " فلم تفارقه أو ترحل عنه . ثم كتب على نفسه التشتت والتمزق ، وعدم الاستقرار النفسي والمكاني فقال : " وأهلنا بالحزن

= معاني الكلمات

ـ تربع : الراء والباء والعين أصول ثلاثة ، أحدها: الإقامة ، يقال ربع يربع والربع : محلة القوم . مقاييس اللغة ٢ / ٤٧٩ ، ٤٨٠، أربع القوم : دخلوا في الربيع، وارتبعوا بموضع كذا : أقاموا هذا الزمان فيه ، ارتبعوا : أكلوا الربيع . وأربع القوم إبلهم : أرعوها نبات الربيع . المخصص لابن سيده ٣ / ٤٠٩ تحقيق / خليل إبراهيم جفال/ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٤١٧ ه ـ١٩٩٦ م

ـ عنيزتين: مكان . مجمل اللغة لابن فارس ١ / ٦٣٢ . والعنز : أرض ذات حزونة ورمل وحجارة .لسان العرب لابن منظور ٤ / ٣١٣٧

ـ الغيلم : موضع . الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٥ / ١٩٩٧. شدن : شدن الصبي والخشف يشدن شدونا : إذا صلح جسمه وترعرع . ، وناقة شدنية : منسوبة إلى موضع باليمن . العين للخليل بن أحمد ٦ / ٣٤٢ ، ٣٤٣ . صرم : والصرم : الهجر . ، والصرم : القطيعة . يقال : صرمت الشيء أصرمه صرماً : إذا قطعته . الإبانة في اللغة العربية لسلمة بن مسلم العوتبي الصحاري . ٣ / ٣٤٦ تحقيق / د عبد الكريم خليفة ، د . نصرت عبد الرحمن ، د . صلاح جرار ، د . محمد حسن عواد ، د . جاسر أبو صفية . الناشر / وزارة التراث القومي والثقافة ـ مسقط . سلطنة عمان . الطبعة الأولى ١٤٢٠ه ١٩٩٩م

فالصمان فالمتثلم " فهنا تعددت أماكن الشاعر ، وهي تدل على عدم الاستقرار ، فهو كالمطارد ، وقد جاءت الفاءات مصورة لسرعة الرحيل والعجلة المتناهية ، وهذا من استلاب الزمان للشاعر .

ومما عجل بالفراق وساعد على البعد بينهما رحيل الإبل بالمحبوبة ، وقد اختار لها الزمان بعناية فقال:

إن كنتِ أزمعت الفِراقَ فإنما ∴ زمّت ركابكم بليلٍ مظلم
ما راعني إلا حمولة أهلها ∴ وسط الديار تسف حب الخِمخِم
فيها اثنتان وأربعون حلوبة ∴ سوداً كخافية الغراب الأسحم (١)

الزمن في هذه اللوحة قوة فاعلة ومؤثرة في عنترة لا يستطيع لها دفعاً ، فالليل – لا محالة – يخلق عنده حالة من الفقد للمحبوبة ، ويحول بينه وبين رؤيتها ووداعها ، وهذا مما يعمق الألم ، ويجسد المأساة ، ويصور الوحدة التي يعيشها وهو يقف إزاء ذلك مسلوب الإرادة ، لا يملك إلا مراقبة الإبل وعدّها ، وكأنه أراد أن يستنقذ نفسه من هذا الحزن الجاسم، فشغلها بعدّ الإبل وفرزها.

وقد ظلل هذه اللوحة لون واحد، هو السواد ، فهو زمن نفسي ، فالظلام إنما هو ظلام نفس عنترة .

---

(١) الديوان ص ١٨٨ ، ١٩٣
ــ معاني الكلمات: أزمعت : وأزمع فلان الأمر إذا عزم عليه . معجم اللغة لابن فارس١/ ٤٤٠
ــ زمّت : الزمام الخيط الذي يشد في البُرَة ، أو في الخشاش ثم يشد في طرفه المقود ،وقد يسمى المقود زماما . الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٥/ ١٩٤٤ . الخِمخِم : بضم الخاء وكسرها : نبات تعلف حبه الإبل . لسان الغرب لابن منظور ٢ / ١٢٧٠
ــ الأسحم : الأسود . العين ٣/ ١٥٤

وقد جعل زمن الرحلة هو الليل ، وقيّده بكونه مظلماً ، حتى لا يتوهم متوهم أن فيه قمراً ينير ، أو نجماً يسطع ، كما فعل الشنفرى في لاميته حينما جعل رحلة قومه ليلاً ، ولكنه ليل ينيره القمر ، وكأن الشنفرى يطلب لقومه الاهتداء ، وعدم الضياع في الصحراء فقال :

أقيموا بني أمي صدور مطيكم ∴ فإني إلى قومٍ سواكم لأميل

فقد حمّت الحاجات والليل مقمر ∴ وشدت لطيّات مطايا وأرحل (١)

فالشاعران كلاهما مستلب ، ولكن شتان ما بين الليلين عندهما ، فليل الشنفرى مقمر ومنير ، وليل عنترة يكسوه الظلام الدامس .

وعنترة لم يكتف بذلك ، بل جعل الإبل ترعى " حب الخمخم " ، وهو أسود اللون ، وحينما تناول إبل الرحلة ركز عدسته على الإبل السوداء دون غيرها فقال :

فيها اثنتان وأربعون حلوبة ∴ سوداً كخافية الغراب الأسحم (٢)

وكان يكفيه في صورة الإبل السوداء أن يشبهها بخافية الغراب وفقط، ومعلوم أن خوافي الغراب سوداء ، ولكنه ذكر صفة الغراب وهي "الأسحم" أي الأسود ، فهل خاف أن يتوهم متوهم أن لون الخافية غير أسود؟!

كلا ، ولكنه أراد أن يرسم لنا لوحة تنعدم فيها الرؤية ، فهي ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها .

---

(١) ديوان الشنفرى ص ٥٨ جمعه وحققه وشرحه / إميل بديع يعقوب – الناشر دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثانية ١٤١٧ه – ١٩٩٦م

(٢) الديوان ص ١٩٣

وهذا يبين لنا أن واقع عنترة الحسي والمعنوي مظلم بفعل الزمن الذي حرمه من المحبوبة وقربها ،وجعله يقف مستلب الإرادة تجاه هذه الرحلة وزمانها، وشتان ما بين الزمن عنده ، وعند شخصية مستلبة أخرى كامرئ القيس في قوله متحدثا عن رحيل المحبوبة ، وزمن رحلتها قائلاً :

كأني غداة البين يوم تحملوا ∴ لدى سمرات الحي ناقف حنظل(١)

فهو – وإن كان مستلبا – جعل الرحلة في وضح النهار وأوله – وقت الغدوة – فالنفسية تسيطر على الزمن وتصبغه بلونها وتكسوه بثوبها .

(١) ديوان امرئ القيس وملحقاته بشرح أبي سعيد السكري ص ١٧١ – دراسة وتحقيق د/ أنور عليان أبو سويلم ، د / محمد علي الشوابكة – إصدارات / مركز زايد للتراث والتاريخ – الإمارات العربية المتحدة – العين – الطبعة الأولى ١٤٢١ه – ٢٠٠٠م

ثالثا : الاستلاب العاطفي

بداية .. من يتصفح شعر عنترة يكتشف أن عبلة لم تكن تبادله الحب، وإنما كان الحب من طرف عنترة وحده ، وهذا ما صوره شعره ، ومن ذلك قوله :

عجبت عبيلة من فتىً متبذّل ∴ عاري الأشاجع شاحب كالمُنصُل

فتضاحكت عجباً وقالت قولةً ∴ لا خير فيك كأنها لم تحفِل

فعجبت منها كيف زلّت عينها ∴ عن ماجد طلق اليدين شمردل

لا تصرميني يا عبيل وراجعي ∴ فيّ البصيرة نظرة المتأمل (١)

فهنا نجد السخرية منها ، والصرم والبعد ، ثم نجد عنترة مستلباً متذللا ، يطلب منها مراجعة البصيرة ، لأن البصر معلوم ، فهي حينما نظرت إليه سخرت من هيئته ،ثم تضاحكت ورأت أنه لا خير فيه ، ولم تحفل به وتهتم ، ومن هنا جاء الاستلاب والتودد والتذلل في قوله " لا تصرميني " لأنه لا يستطيع مبادلتها صداً بصد ، ولا سخرية بمثلها ، ولا يملك إلا أن يهرب من دنيا الواقع ، ويرتد إلى الماضي ، فيتحدث عن فروسيته وبطولته ، وقتله للأبطال في المعارك ، فيقول :

إمّا تريني قد نحلت ومن يكن ∴ غرضاً لأطراف الأسنة ينحل

فلربّ أبلج مثل بعلك بادنٍ ∴ ضخمٍ على ظهر الجواد مهبّل

غادرته متعفراً أوصاله ∴ والقوم بين مجرّح ومجدّل (٢)

---

(١) الديوان ص٢٥٣ ،٢٥٤

(٢) السابق ص ٢٥٦، ٢٥٧

وهذا المنهج نفسه الذي اتبعه في المعلقة ، وفي كل شعر تحدث فيه مع عبلة أو عنها ،ومن ذلك قوله مخاطباً إياها ، طالباً منها عدم الهجر والصرم :

فلئن صرمت الحبل يا ابنة مالك ∴ وسمعتِ فيّ مقالة العذّال

فلعمر جدّكِ إنني لمشايعي ∴ لُبّي وإني للملوك لقال

وسلي لكيما تخبري بفعالنا ∴ عند الوغى ومواقف الأهوال

والخيل تعثر بالقنا في جَاحِمٍ ∴ تهفو به ويجُلنَ كلَّ مجال (١)

فهي تنكره ، وتقطع حبال الأمل التي تعلق بها ، ولذلك يعّرف بنفسه في باقي القصيدة ، فهو الفارس الأوحد ، مقتّل الأبطال ، مبغض الملوك .....الخ ، وهذا ما فعله في المعلقة حينما قال :

هلّا سألت الخيل يا ابنة مالك ∴ إن كنت جاهلة بما لم تعلمي (٢)

ففي القصيدتين نجد النداء واحداً : (يا ابنة مالك) وهو نداء يشعر بالغربة والاغتراب ، فكأنه ينادي من لا يعرفه ، وفي مناداتها – أيضا – بأبيها مالك ، كأنه يذكر السبب في بعدها وهجرها وازدرائها له ، فهي ابنة سيد من سادات عبس ، ولذلك هو يشعر بالنقص والدونية ، ووالدها هو السبب في حرمانه منها ، ولذلك ناداها به في القصيدتين ، كما نجد التجاهل، وعدم المعرفة – المتعمدة – منها ، ولذلك يهرب من الواقع إلى دنيا الخيال من مقارعة الأبطال ، وجندلة الفرسان ، وهذا – كما قلت – منهج اتبعه

(١) الديوان ص٣٣٦
(٢) السابق ص ٢٠٧

عنترة في استلابه العاطفي ، فكلما عجز عن مواجهة الواقع ، يرتد إلى الماضي ويعيش في أحلامه وخياله ، مغرداً وحده ، فيتحدث عن قتله للأبطال واستلاب أرواحهم ، كما استلبت عبلة قلبه ولبّه .

وعنترة في معلقته حينما تحدث عن استلابه العاطفي أرجع ذلك إلى عوامل خارجة عن الإرادة فلا يتمكن من وصالها كبعد الديار كما بينت في الاستلاب المكاني :

وتحل عبلة بالجواء وأهلنا ∴ بالحزن فالصّمان فالمتثلم (١)

وقد أرجع الاستلاب – أيضا – وعدم الوصول إلى المحبوبة إلى العداء ، والقتال بين الأهلين ، وذلك في قوله :

شطت مزار العاشقين فأصبحت ∴ عسراً علىّ طلابك ابنة مَخرَم

علقتها عرضاً وأقتل قومها ∴ زعماً ورب البيت ليس بمزعم (٢)

ولكن رواية التبريزي تقول :

حلّت بأرض الزائرين فأصبحت ∴ عسراً علىّ طلابك ابنة مخرم (٣)

وهي الرواية الأصوب – في رأيي – لمناسبتها لحديثه عن القتال والعداء بين الحيين ،وهو ما صرّح به في البيت الثاني : علقتها عرضاً وأقتل قومها .....

(١) الديوان ص١٨٥

(٢) السابق ص١٨٦ ، ١٨٧

(٣) شرح القصائد العشر للتبريزي ١ / ١٧٩ وديوان عنترة ص١٦ دار صادر – بيروت

والزائرون : الاعداء ، جعلهم يزأرون زئير الأسد ، شبه توعدهم وتهددهم بزئير الأسد ، فهو يقول : نزلت الحبيبة بأرض أعدائي فعسر علىّ طلابها . (١)

ثم يقول في البيت الثاني : "عشقتها وشغفت بها مفاجأة من غير قصد مني ، أي نظرت إليها نظرة أكسبتني شغفاً بها وكلفاً مع قتلي قومها ، أي مع ما بين الحيين من القتال والمعاداة." (٢)

وهكذا نجد الشاعر في هذا المطلع قد أرجع الاستلاب إلى عوامل خارجية ولكنه بعد ذلك أنكأ الجراح ، وذكر السبب الحقيقي للاستلاب ، وهو الحب الجارف منه ، والمقابل بالصدود والتجاهل والاستعلاء من عبلة ، فالاستلاب نابع من المحبوبة نفسها ، فهى تتجاهله وتتعالي عليه ، ولا تلتفت إلى فروسيته وبطولاته ، وهي الأدوات التي لا يملك غيرها وهنا تحدث المفارقة التي يتولد عنها الاستلاب المؤلم ، فهي لا تبادله ودّاً بود ، ولا حبّاً بحب ، وتنكره وتتجاهله كأنها لا تعرفه ، ولا تعرف طباعه وشمائله وأخلاقه ، ومع كل ذلك لا يجد فكاكاً من حبها ، يرسف في أغلال هذا الحب، ولا يستطيع منه تخلصاً ، ولا يستطيع – أيضاً – أن يقضي عليه ويصرعه ، كما يصرع الأبطال في ساحات القتال .

ومن ذلك قوله وقد بدأ حديثه عن معاناته مع عبلة ، وخضوعه واستلابه ، وذلك بذكر نتيجة مؤكدة ، وحقيقة ثابتة ، وهي أس المعاناة وسبب الخضوع والتذلل والاستلاب فيقول :

---

(١) ينظر السابق ص١٦ ، وشرح القصائد العشر للتبريزي ١ / ١٨٠

(٢) ديوان عنترة ص١٦ دار صادر – بيروت

ولقد نزلتِ فلا تظنّي غير ∴ منّي بمنزلة المحب المكرم[١]

فهو منذ البداية حريص علي أن تصدقه في حبه ، ولذلك أكد لها الكلام بأكثر من مؤكد ، فأكد الكلام بالقسم وقد (ولقد) التي تفيد التحقيق ، ثم فصل بين الفعل و متعلقه بجملة النهي ، فهو ينهاها أن تظن غير ذلك (فلا تظني غيره) ، وهو في كل ذلك يشعرك بتجاهلها له ، وإنكارها لحبه ، ثم يقرر – أنها – مع كل ذلك محبوبة مكرمة (المحب المكرم) ، وكأن لسان حاله يقول لها ، ما قاله المستلب المعنَّي ، كثير عزة :

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة ∴ لدينا ولا مقلية إن تقلّت (٢)

ولنا أن نتساءل: هل عنترة محبوب ومكرّم عندها ؟

هذا ما سيبينه الشاعر فيما سيأتي من أبيات ، فيقول بعد بيته السابق مباشرة

إن كنتِ أزمعتِ الفراق فإنما ∴ زمّت ركابكُمُ بليل مظلم(٣)

فنلاحظ هنا أن الفراق صادر منها ، ونابع من داخلها هي ، ولذلك جاء الخطاب موجهاً إليها وحدها دون قومها (كنت ، أزمعت) ولم يقل لها – مثلاً – أزمعت الرحيل ، حتي لا يتوهم متوهم أنها رحلت بجسمها ، ولكن حبَّه في قلبها مستعر ، فجعله – منها – فراقا بائناً ، وجاء به معرفاً بال

(١) الديوان ص١٨٧
(٢) ديوان كثير عزة ص٨٠ – شرح / قدري مايو– مطبعة / دار الجبل – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٦ه – ١٩٩٥م
(٣) الديوان ص١٨٨

(الفراق) التي هي للجنس ، حتى يشمل كل أنواع الفراق ، كما يشمل – أيضاً – الاستغراق والتناهي فيه .

ولذلك جاءت عبلة – هنا– هي المتصدرة للمشهد ، الأمر أمرها ، والعزم والفعل لها وحدها ، ويظهر قومها ظهوراً شاحباً في آخر البيت في قوله (زمت ركابكم)

ثم في البيت الذي يليه : **ما راعني إلا حمولة أهلها .....**

فعبلة هي التي أجمعت أمرها ، وعزمت على فراقه ، ولذلك فهي – عندي – رحلة معنوية ، أكثر منها حسية ، ولأنه مستلب لم يستطع أن يتعامل مع الواقع ، فيفر منه إلى الحديث عن جمالها ، وعن المتع الحسية المتخيلة ، مواساة لنفسه ، وتعليلا لها ، فيقول :

إذ تستبيك بأصلتيٍّ ناعم ∴ عَذبٍ مقبلُهُ لذيذ المطعم

وكأنما نظرت بعيني شادن ∴ رشأٍ من الغزلان ليس بتوأم

وكأن فأرة تاجر بقسيمة ∴ سبقت عوارضها إليك من الفم

أو روضة أنفاً تضمّن نبتها ∴ غيث قليل الدمن ليس بمعلم

أو عاتقاً من أذرعاتَ معتقا ∴ مما تعتقه ملوك الأعجم (١)

---

(١) الديوان ص ١٩٤: ١٩٦

ـ معاني الكلمات: "تستبيك": سبت الجارية قلب الفتى تسبيه أي ، ذهبت به . العين للخليل ٣١٣/٧ .

ـ " أصلتي " : الصلت : الأملس ، ورجل صلت الوجه والخد والجبين ، أي : أملس العين ١٠٥/٧ =

فقد صدّر الأبيات التي يتحدث فيها عن جمالها الحسي بقوله: " إذ تستبيك "

أي تذهب بعقلك، وهو من السبي والاستباء ،فهو يقرر منذ البداية أنه مستلب ، ولما كان الاستلاب متجدداً ومستمراً ، جعل الفعل مضارعاً فقال " تستبيك " ولم يجعله ماضياً حتى لايظُن أن أثر الاستلاب قد زال في الحاضر ، ثم يسرد أسباب الاستلاب ، ويردها إلى جمال الثغر الناصع البياض ، ثم طيب رائحة الفم ، فهي عذبة التقبيل ،ثم يتحدث عن جمال

= " شدن " : شدن الغزال : إذا قوى واستغنى عن أمه / شدن الظبي يشدن شدونا فهو شادن ، إذا قوى واشتدت عظامه (جمهرة اللغة لابن دريد ٢ / ٦٥٢ . ،. معجم ديوان الأدب للفارابي ٢/ ١٣٦ تحقيق د / أحمد مختار عمر ، مراجعة / د إبراهيم أنيس طبعة مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر – القاهرة ١٤٢٤ه ٢٠٠٣ م " فأرة " : فأرة المسك : نافجته . العين ٨ / ٢٨٢ ، فأر : المسك وهى وعاؤه . تهذيب اللغة للأزهري ٩ / ١٥٧ تحقيق / محمد عوض مرعب – الناشر / دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠١ م . " قسيمة "

ـ القسام :الوجه ، الحسن ، القسيمة : المرأة الجميلة . (تهذيب اللغة للأزهري ٨ / ٣٢٠ ، ٣٢٢) " عوارض " العِرض بالكسر : رائحة الجسد ، والعِرض أيضا : الجسد (مختار الصحاح للرازي ١/ ٢٠٥ ، والعوارض : الثنايا : سميت عوارض لأنها في عرض الفم ، والعوارض : ما ولى الشدقين من الأسنان . وقيل هي أربع أسنان تلي الأنياب ثم الأضراس تلي العوارض . لسان العرب لابن منظور ١٨٠/٧) " روضة " : الراء والواو والضاد أصلان متقاربان في القياس ، أحدهما يدل على اتساع ، والآخر على تليين وتسهيل ، ويقال أرض الوادي واستراض ، إذا استنقع فيه الماء وكذلك أرض الحوض ، ويقال للماء المستنقع المنبسط روضة . (مقاييس اللغة لابن فارس ٢ / ٤٠٩ . " أنف " : روضة أنف : لم يرعها أحد . (معجم ديوان الأدب ٤ / ١٦٦ " الدمن " : ما تلبد من السّرقين وصار كرساً على وجه الأرض ، وكذلك ما اختلط من البعر والطين عند الحوض . (العين ٨ / ٥٤ . " أذرِعات : بكسر الراء موضع بالشام ينسب إليه الخمر . (مختار الصحاح للرازي ١ / ١١٢ .

عيونها ، وطيب رائحة جسدها الذي يشبهه بالمسك ، ورائحة الفم بالخمر المعتقة المجلوبة من أذرعات ، والتي تصنع لملوك العجم . وهكذا نجد عنترة قد استطرد في وصف جمالها الحسي ، وأثره عليه ، وكأنه يلتمس لنفسه العذر في عدم المقدرة على مقاومتها ، وخضوعه ومذلته واستلابه ، ولذلك جاء بهذه الأبيات التي يشعر القارئ أنها قلقة في موضعها – وجعلها وسط الرحلة التي بدأها بقوله : إن كنت أزمعت الفراق .....

وكما قلت ، هي التي بدأت الفراق وأصرّت عليه ، وذلك على خلاف عادة الشعراء الذين تبادلهم المحبوبة المحبة والمودة ، فعندهم تجد المحبوبة مستلبة ، لا تملك أمر الرحيل ، ولا تستطيع له دفعاً ، وإنما هي تتعذب كما يتعذب المحب العاشق ، ونرى عندهم القبيلة هي المسيطرة والمستحوذة على المشهد ، ومن ذلك قول امرئ القيس :

كأني غداة البين يوم تحملوا ∴ لدى سمرات الحيّ ناقف حنظل [1]

فقوله : " تحملوا " يدل على أن من اتخذ قرار الرحيل هم القوم ، ولا نجد للحبيبة ذكراً أو حضوراً . ومن ذلك قول زهير بن أبي سلمى :

فلما أن تحمّل آل ليلى ∴ جرت بيني وبينهم ظباءُ

تحمّل أهلها منها فبانوا ∴ على آثارهن ذهب العفاء [2]

---

(١) ديوان امرئ القيس ص ٢٤ اعتنى به وشرحه / عبدالرحمن المصطاوي – دار المعرفة – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ١٤٢٥ه – ٢٠٠٤ م .

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى ص١٠ اعتنى به وشرحه / حمدو طماس – دار المعرفة – بيروت – لبنان الطبعة الثانية ١٤٢٦ ه – ٢٠٠٥م

فالراحلون هنا آل ليلى ، ولذلك الكلام كله يدور عليهم ، ويتحدث عنهم، أما ليلى فمستلبة ، ولا نجد لها وجوداً ، وليس لها دور في الرحلة وسيرها لكن الأمر مختلف مع عنترة ، فعبلة هي المقررة للرحيل ، والعازمة على الفراق ، ولو كان عنترة يملك أمر نفسه لتجلد وتصبر ،أو أعرض واستكبر ، وفعل ما فعله الأعشى حينما رحلت سمية وتركته ، فقد سارع بصرمها وهجرها فقال :

رحلت سمية غدوة أجمالها ∴ غضبى عليك فما تقول بدا لها

سفها وما تدري سمية ويحها ∴ أن رُبَّ غانية صرمت وصالها(١)

ولكننا نرى عنترة مستلباً ، فيقرر الرحيل خلفها ، علها ترضى عنه ، او تتعطف عليه بودها ووصلها ، فيقول بعد أن استطرد في وصف جمالها ،وعذوبة ريقها ومقبلها :

تمسي وتصبح فوق ظهر حشية ∴ وأبيت فوق سراة أدهم ملجم (٢)

فلا يظهر في الرحلة إلا عبلة ، فهي المسيطرة على المشهد كله ، ولذلك قال " تمسي وتصبح " وكأنها ترحل منفردة ، ثم يبين اختلاف الحالين، فهي منعمة مرفهة ، وهو يبيت على ظهر فرس ملجم ، معد للغارة في الصباح . (٣)

---

(١) ديوان الأعشى (ميمون بن قيس ص ٢٧ شرح وتعليق الدكتور م . محمد حسين . دار النشر / الآداب بالجماميز – المطبعة النموذجية ١٩٥٠م .

(٢) الديوان ص ١٩٨

(٣) ينظر : الديوان ص ١٩٨

ثم يفاجئنا بقوله :

هل تبلغنّي دارها شدنيّة ∴ لعنت بمحروم الشراب مُصَرَّم

خطارةٌ غِبَّ السُّرى زَيَّافةٌ ∴ تَقِصُ الإكامَ بكلّ خُفٍّ مِيثم [١]

ثم يستطرد في ذكر أوصاف ناقته القوية السريعة التي لا تكلُّ ولا تملُّ، ويشبهها بالظليم (ذكر النعام) في سرعته وخفته ، وقد خلع على الناقة كل أوصاف القوة والسلامة ، والنجاة في الطرق الموحشة المهلكة علّها توصله إلى من أعرضت عنه ورحلت . [٢]

وأرى أنه لو كان يملك أمر نفسه لتركها، كما فعلت هي ، ولكنه رحل وراءها ،لأنه مستلب ، وعندما يصل إليها تحدث المفارقة المزلزلة للنفس ،والمشعرة بالمذلة والهوان ، ويتلقى الطعنات الواحدة تلو الأخرى ، وهو في كل طعنة يتلقاها يرتد إلى نفسه متحدثاً عن بطولاته وشمائله وأخلاقه ، التي قطعها خلف عبلة ، يرجو وصلها ، ويأمل رضاها يتلقى الطعنة الأولى، ويصورها في قوله :

إن تغدفي دوني القناع فإنني ∴ طبٌّ بأخذ الفارس المستلئم

أثني عليّ بما علمتِ فإنني ∴ سمحٌ مخالقتي إذا لم أظلم

فإذا ظلمتُ فإنّ ظلمي باسل ∴ مُرٌّ مذاقته كطعم العلقم

ولقد شربت من المدامة بعدما ∴ ركد الهواجر بالمشوف المعلم

بزجاجة صفراء ذات أسرّةٍ ∴ قرنت بأزهر في الشمال مفدّم

---

(١) الديوان ص ١٩٩

(٢) ينظر السابق ص ٢٠٠ : ٢٠٤

فإذا شربت فإنني مســـتهلك ∴ مالي وعرضي وافر لم يكلم

وإذا صحوت فما أقصّر عن ندى ∴ وكما علمتِ شمائلي وتكرمي

وحليل غانية تركت مجـــدلاً ∴ تمكو فريصته كشدق الأعلم

عجلت يداي له بمارن طعنــة ∴ ورشاش نافذةٍ كلون العندم (١)

---

(١)الديوان ص ٢٠٥ : ٢٠٧

ـ معاني الكلمات: تغدفي : أغدف عليه ستراً :أي : أرسله ، وأغدف الليل سدوله : إذا أرسل ستور ظلمته . تهذيب اللغة للأزهري ٨ / ٩٣ . طبّ : رجل طب بالشيء : حـــاذق بـــه . جمهرة اللغة لابن دريد ١ / ٧٣ .

ـ المستلئم : اللأم : جمع لامة ، وهي الدرع ، واستلأم الرجل ، أي لبس اللأمة . الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ٥ / ٢٠٢٦ . ركد : ركد الماء والريح ركوداً، أي :سكن ، وركد القوم : هدءوا وسكنوا . العين للخليل ٥ / ٢٢٧ . الهواجر : والهجيـــرة ، نصـــف النهار . العين ٣ / ٣٨٧

ـ المشوف : المجلو ، المشوف المعلم : الدينار الذي شافه ضاربه ، وقيـــل : أراد بالمشـــوف قدحا صافيا منقشا . تهذيب اللغة ١١/ ٢٩١ . أسرّة: أي خطوط . معجم ديـــوان الأدب ٣ / ٤٧ . مفدم : الفدم : شيء تشده العجم على أفواهها عند السقي ،الواحدة فِدامة . العين ٨ / ٥٤ . أزهر : أزهر اللون ، الزهر والزهرة البياض النير وهو أحسن الألـــوان . مجمـــع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار لجمال الدين ،محمـــد طـــاهر ابـــن علـــي الصديقي الهندي الفتني الكجراتي ٢ / ٤٤٨ – مطبعة دائرة المعارف العثمانيـــة – الطبعـــة الثالثة ١٣٨٧ه – ١٩٦٧م . والأزهر : هو لكل لون أبيض . تهذيب اللغـــة ٦ / ١٤٨ . تمكو : المكاء : الصفير ، وقد مكا الإنسان يمكو مكاء : أي : صفر بفيه . العين٥ / ٤١٨، ٤١٩ . فريصته : الفرص: شق الجلد بحديدة عريضة الطرف تفرصه بها فرصـــا غمـــرا ، والفريصة : لحم عند نغض الكتف في وسط الجنب عند منـــبض القلـــب ، وهمـــا اللتـــان يفترصان عند الفزعة . العين ٧ / ١١٢ . شدق : الشدق : طفطفة الفم من باطن الخـــدين .العين ٥ / ٣٤ . مرن : مرن الشيء يمرن مرونة : إذا استمر ، وهو لين في صـــلابة ، والمارن من الرماح: ما لان . والمران : الرماح الصلبة اللدنة . العين ٨ / ٢٧١ . رشاش : الرشاش بالفتح : ما ترششمن الدم والدمع . يقال : أرشت الطعنة . الصحاح تاج اللغـــة وصحاح العربية ٣ / ١٠٠٦ ، العندم : شجر أحمر . تهذيب اللغة ٣ / ٢٢٧

بعد أن قطع وراءها – كما قلت – رحلة طويلة شاقة على ناقته القوية ، تصدمه عبلة بأن تعرض عنه وتزدريه وتهينه وتسدل دونه القناع وتستتر عنه ، وما فعلت ذلك إلا نفورًا منه ، وشعوراً بأنه غريب عنها .

ثم يتذلل لها ويخضع ، طالباً منها أن تثني عليه وتتمدحه لكريم أخلاقه وبطولته ، ولو لم يكن مستلباً لقال لها :عقب إسدال الستار عليه إنني راحل عنك ، ومستبدلك بأخرى، ولكنها تملك عقله وقلبه ، فينصرف عن ذلك ، ويسير بالكلام في وادٍ آخر ، حيث الأحلام والبطولات، ويمزج بين البطولة والفروسية ومكارم الأخلاق ، علّها ترضى، فقد كان من عادات النساء أنهن يأسرهن الفارس المدافع عنهن في الحروب ، وهذا ما فطن إليه المتنبي حينما قال مغازلاً المحبوبة :

وما كل من يهوى يعف إذا خلا ∴ عفافي ويرضي الحِبّ والخيل تلتقي[1]

ومنه قول عمرو بن كلثوم :

يقتن جيادنا ويقلن لستم ∴ بعولتنا إذا لم تمنعونا

إذا لم نحمهن فلا بقينا ∴ لشيء بعدهن ولاحيينا[2]

فالمرأة تحب في الرجل أن يكون شجاعاً ، حامياً للديار ، وتكره المدّهن المكتحل الملازم للنساء ، وهذا ما نفاه الشنفرى عن نفسه فقال :

ولا جبّأٍ أكهى مُرِبٍّ بعرسه ∴ يطالعها في شأنه كيف يفعل

---

(١) شرح ديوان أبي الطيب المتنبي (معجز أحمد) لأبي العلاء المعري ٣ / ٢٩٥ تحقيق ودراسة د/ عبد المجيد دياب دار المعارف – الطبعة الثانية ١٤١٣ه – ١٩٩٢ م

(٢) ديوان عمرو بن كلثوم ص ٨٧ جمعه وحققه وشرحه / إميل بديع يعقوب – الناشر / دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثانية ١٤١٦ه – ١٩٩٦م

ولا خالفٍ داريّةٍ متغزلٍ ∴ يروح ويغدو داهنا يتكحل (١)

وهذا ما فعله عنترة مع عبلة ، وكان هذا منهجه في كل شعره، فهو يجمع بين البطولات الحسية والمعنوية ، فيجمع بين أخذه لروح الفارس البطل كامل الهيئة والسلاح ، وبين سماحة الأخلاق وطيبها(طبّ بأخذ الفارس المستلئم ، سمح مخالقتي) .

وهو في رحلة البحث عن الذات ، يسلك عدة طرق :

أولاً : طريق الفروسية ، وقتل الأعداء والأبطال :

..... فإنني ∴ طِبٌّ بأخذ الفارس المستلئم

وحليل غانية تركت مجدلا ∴ تمكو فريصته كشدق الأعلم

عجلت يداي له بمارن طعنة ∴ ورشاش نافذة كلون العندم(٢)

ثانياً : طريق التمدح بمكارم الأخلاق :

أثني عليّ بما علمت فإنني ∴ سمح مخالقتي إذا لم أظلم

فإذا شربت فإنني مستهلك ∴ مالي وعرضي وافر لم يكلم

وإذا صحوت فما أقصر عن ندى ∴ وكما علمتِ شمائلي وتكرمي (٣)

فهو يتمدح بحسن أخلاقه ، وحفاظه على عرضه من أن يمسه دنس أو سوء ، ويتمدح – أيضا – بجوده وكرمه في حال سكره وصحوه .

---

(١) ديوان الشنفرى ص ٦١

(٢) الديوان ص٢٠٧

(٣) السابق ص ٢٠٥ : ٢٠٧

ثالثاً : طريق التمدح بشربه للخمر، وإنفاق ماله عليها :

ولقد شربت من المدامة بعدما ∴ ركد الهواجر بالمشوف المعلم

بزجاجة صفراء ذات أســـرّة ∴ قرنت بأزهر في الشمال مفدّم

فإذا شربت فإنني مســـتهلك ∴ مالي وعرضي وافر لم يكلم

وإذا صحوت فما أقصر عن ندى ∴ وكما علمتِ شمائلي وتكرمي [1]

وقد جاء بصورة شربه للخمر بين صورتي قتله للفرسان ، وتمدحـــه بمكارم أخلاقه ، لأنه مستلب ، يريد أن يرتقي إلى مصاف الســـادة الأحـــرار بكل الوسائل ، وبشتى الطرق ، فقد كان من عادة الفرسان أنهم يتمـــدحون بشربهم للخمر ، وإنفاقهم للمال في الحوانيت ، وهذا عندهم مـــن الفتـــوة ، وقد جاء في أشعارهم كثيراً ، ومن ذلك قول طرفة بن العبد :

فإن تبغني في حلقة القوم تلقني ∴ وإن تقتنصني في الحوانيت تصطد

متى تـأتني أُصبحك كأساً رويّة ∴ وإن كنت عنها ذا غنى فاغن وازدد

نداماي بيض كالنجوم وقينـــة ∴ تروح علينا بين بُردٍ ومُجســـــد

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى ∴ وجدّك لم أحفِل متى قام عـــوّدي

فمنهن سبقي العاذلات بشربة ∴ كميتٍ متى ما تعل بالماء تزبد (٢)

---

(١) الديوان ص ٢٠٥ : ٢٠٧

(٢) ديوان طرفة بن العبد ص ٣٢ ، ٣٣ – اعتنـــى بـــه / حمـــدو طمـــاس ، عبـــد المجيـــد المصطاوي – دار المعرفة – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م

ومن ذلك قول الأعشى مفتخراً:

فقد أشرب الراح قد تعلمين ∴ يوم المقـــــام ويوم الظعن

وأشرب بالريف حتى يقال ∴ قد طال بالريف ما قد دجن (١)

فعنترة قد تمدح بهذه الخلال الثلاث ، وبنى شعره الذي يذكر فيه عبلة على ذلك ، وما فعل ذلك – عندي – إلا لشعوره بالنقص والاستلاب ، فهـو عبد أسود ، ابن أمة سوداء ، وهذا الشعور لازمه ، ومن هنا نرى قسـوته على الأحرار في معاركه ، وهي قسوة مبالغ فيها ، فنراه يعمل فيهم القتـل والتمثيل بالجثث ، ويتلذذ بسفك الدماء وجريانها أنهاراً ..

فهو حينما يتلقى الطعنة من عبلة ، ويشعر بالإهانة والاسـتلاب لا يستطيع أن يواجهها ، وأن يعاملها بندية ، فيهرب من الواقع ، ويعيش فـي دنيا الأحلام والخيال ، وهنا تتجلى الشخصية المستلبة في أوضح صورها .

ثم يتلقى الطعنة الثانية ، ويسلك المسلك نفسه ، فبعد أن يفيق مـن أحلامه السابقة ويرجع إلى واقعه المرير ، يقول مخاطباً عبلة :

هلّا سألتِ الخيل يا ابنة مالكٍ ∴ إن كنتِ جاهلة بما لم تعلمي

إذ لا أزال على رحالة سابـــح ∴ نهدٍ تعاوره الكمـــاة مُكلّم

طوراً يعرّض للطعان وتـــارةً ∴ يأوي إلى حصد القسيّ عرمرم

يخبركِ من شهد الوقائع أنني ∴ أغشى الوغى وأعف عند المغنم

ومدججٍ كره الكماة نـــزاله ∴ لا ممعن هرباً ولا مستـــسلم

(١) ديوان الأعشى الكبير(ميمون بن قيس) ص ١٧

جادت يداي له بعاجل طعنـــة ∴ بمثقفٍ صدق القناة مقـــــوّم

برحيبة الفرغين يهدي جرسها ∴ بالليل معتسّ السباع الضـــرَّم

كمّشتُ بالرمح الطويل ثيابــه ∴ ليس الكريم على القنا بمحرّم

وتركته جزر السباع ينشنـــــه ∴ ما بين قلة رأسه والمعصـــــم

ومشكٍّ سابغة هتكت فروجهـــا ∴ بالسيف عن حامي الحقيقة معلم

رَبِذٍ يداه بالقداح إذا شـــــتا ∴ هتّاك غايات التِجار ملـــوّم

بطلٍ كأن ثيابه في ســـــرحةٍ ∴ يحذى نعال السِّبتِ ليس بتوءم

لما رآني قد قصدت أريـــــده ∴ أبدى نواجزه لغير تبســـــم

فطعنته بالرمح ثم علـــــوته ∴ بمهندٍ صافي الحديدة مخذم

عهدي به شدّ النهار كأنمـــا ∴ خضب اللبان ورأسه بالعظلم (١)

---

(١) الديوان ص ٢٠٧ : ٢١٣

ـ معاني الكلمات : نهد : النهد من الخيل الجسيم المشرف . العين ٤ / ٢٨ . مكلم : وكلمت الرجل أكلمه كلما: إذا جرحته . جمهرة اللغة ٢ / ٩٨١ – حصـد : واستحصـد القـوم : اجتمعوا. المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ٣ / ١٤١ تحقيق / عبد الحميد هنـداوي – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢١ه . عرمرم : وجيش لجب عرمـرم ، أي ذو جلبة وكثرة الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ١/ ٢١٨ .مـدجج : الشـاك فـي السلاح أي عليه سلاح تام ، سمي به لأنه يدج ، أي يمشي رويدا لثقله ، وقيل لأنه يتغطى به– تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ٣ / ٢٥٨ – دار الفكر – بيروت الطبعـة الأولى ١٤١٤ه. مثقف: والثقاف حديدة تسوى بها الرماح ونحوهـا العـين ٥ / ١٢٨ . رحيبة : والمكان الرحب : الواسع ، والرحبة بتسكين الحاء وفتحها : الفجوة الواسعة بـين دور وغيرها . جمهرة اللغة ١ / ٢٧٦ . الفرغين : يريد بالفرغ مفرغ الدلو أي : خرقـه ، وفرغه : سعة جوفه ، والإفراغ : الصب .العين ٤ / ٤٠٨ . جرسها : الجرس : مصدر =

يتجلى الاستلاب المعرفي في هذه الطعنة وسابقتها ، ولذلك يكرر عنترة العلم والمعرفة وضدهما : (أثني عليّ بما علمت ، هلّا سألت الخيل ، إن كنت جاهلة بما لم تعلمي ، يخبرك من شهد الوقائع ..)

ويلاحظ هنا أن عنترة قد وقع في التناقض ، فتارة يثبت لعبلة العلم (أثني عليّ بما علمت) وأخرى ينفيه عنها ، ويثبت لها الجهل (إن كنت جاهلة بما لم تعلمي) ويطلب منها ويحضها على سؤال الفرسان عنه في ميادين القتال .

وما أوقعه في هذا الاضطراب والتناقض إلا استلاب عقله وقلبه من المحبوبة المتجاهلة الصادة . وكأن لسان حاله يقول : إن بطولاتي يعرفها القاصي والداني فكيف غابت عنك أنت ؟!!

= الصوت المجروس ، والجرس : الصوت نفسه . تهذيب اللغة ١٠ / ٥٧٨ . معتس : والعس : طلب الشيء بالليل . جمهرة اللغة ١ / ١٢٢ . الضرم: وضرم الأسد إذا اشتد حر جوعه . العين ٧/ ٣٨ . كمش : قد تكمش جلده أي تقبض واجتمع ، ورجل كميش الإزار : مشمره . تهذيب اللغة ١٠/ ٣٣ . جزر : والجزر نحر الجزّار الجزور العين ٦ / ٦٢ . مشك : والمشك بالكسر : السير الذي يشك به الدرع ، وشك الخياط الثوب : إذا باعد بين الغرزتين . تاج العروس من جواهر القاموس١٢ / ٥٩٦ . سابغة : وسبغت الدرع ، وكل شيء طال إلى الأرض فهو سابغ ، والتسبيغة : شيء من حلق الدرع توصل به البيضة فيستر العنق العين ٤ / ٢٧٩ .ربذ : والربذ : خفة القوائم في المشي ، وخفة الأصابع في العمل العين ٨ / ١٨٣ . سرحة : والسرح أيضا شجر عظام طوال الواحدة سرحة مختار الصحاح ١/ ١٤٥ . يحذى : الحذيّا : هدية البشارة ، وأحذيته : أعطيته . العين ٣ / ٢٨٥ . السبت : سميت النعال المدبوغة سبتية لأنها انسبتت بالدباغ أي : لانت . تهذيب اللغة ١٢/ ٣٨٨ . خذم : الخذم : سرعة القطع والسير . العين ٤ / ٢٤٦ . خضب : خضب الرجل شيبه ، واخضاب : كل لون غير لونه حمرة فهو مخضوب تهذيب اللغة ٧/ ١١٦ . اللبان : بالفتح ما جرى عليه اللبب من الصدر لسان العرب ١٣ / ٣٧٦ . العظلم : عصارة شجر لونه أخضر إلى الكدرة. العين ٢ / ٣٤٢

وإذا كان عنترة في الطعنة الأولى التي تلقاها من عبلة قد ذكر موقفاً واحداً من بطولاته ، وهو قتله لحليل الغانية – كما بينت –وقد جاءت الصورة في بيتين فقط ، فإنه في الطعنة الثانية كان الجرح أعمق ، والإهانة والاستلاب أقوى ، ولذلك هو يحضها ويحثها على السؤال ، ويصمها بالجهل وعدم المعرفة .

ولعمق الجرح وقوة الاستلاب – كما قلت – يستطرد هنا ، وينوع في قتل الأبطال ، ويعدد المواقف والحروب ، ويصور الفتك وقوته ، والقتل وبشاعته ، فيسرد أكثر من صورة : بدأ الصورة الأولى بقوله : ومدجج كره الكماة نزاله....

إلى قوله : وتركته جزر السباع ينشنه .....

ثم بدأ الثانية بقوله : ومشك سابغة هتكت فروجها .....

إلى قوله : عهدي به شدّ النهار.....

وفي الصورتين يستطرد عنترة في عدّ صفات الفارس المقتول ،فهو بطل صنديد ،تام السلاح ، تخافه الأبطال ، لقوته وتمرسه بالحروب ، غير هيّاب ولا ورع .

وقد أكثر من ذكر الصفات الحسنة للفارس المقتول في الصورتين ، لا ليمدحه وإنما ليبين لعبلة أنه لا يقتل إلا من يعجز عن نزاله الأبطال ، ويخافه الشجعان ، وكأنه يعدد صفاته هو بطريق مباشر ، وآخر غير مباشر ، عن طريق مدح الخصم والثناء عليه ، وقد فعل ذلك لينال رضى عبلة .

وفي الصورتين – أيضا – يصور عنترة الفارس المقتول ، وهو يقف أمامه مستلباً لا يبدي مقاومة أو ردة فعل ، وإنما يصرعه عنترة في خفة ومهارة (جادت يداي له بعاجل طعنة ، كمشت بالرمح الطويل ثيابه ، وتركته جزر السباع ينشنه ، فطعنته بالرمح ثم علوته بمهند ، عهدي به شدّ النهار)

فصورة الفارسين تتطابقان تمام المطابقة ، وكلاهما لا يبدي أدنى مقاومة أمام عنترة ، فالنهاية واحدة لكليهما ، فقد جعلهما مستلبين أمامه ، وكأنه حاول أن يجد لنفسه مبرراً في وقوفه مستلباً أمام عبلة ، لا يستطيع المقاومة ، وإنما هو مقتول لا محالة ، وكأن الفارسين المقتولين يمثلان معادلاً موضوعياً لعنترة ، فهو مستلب في الحب ، وهما مستلبان في الحرب ، وكأن الحرب معادل موضوعي للحب ، ففيهما الصراع المحتدم العنيف ، وأخذ الأرواح ، وأسر القلوب وقتلها ، والتسليم بالقضاء المحتوم السريع .

وعنترة في هذه الطعنة ايضا – لا ينسى أن يستميل عبلة بأخلاقه المعنوية الحميدة ، فهو : يغشى الوغى ويعف عند المغنم .

ثم تأتي الطعنة الثالثة ، وفيها بتحدث صراحة عن ضياع المحبوبة/ عبلة ويشير إلى أنها تزوجت غيره فيقول :

يا شاة ما قنص لمن حلّت له	∴	حرمت عليّ وليتها لم تحرم
فبعثت جاريتي فقلت لها اذهبي	∴	فتحسسي أخبارها لي واعلمي
قالت رأيت من الأعادي غرة	∴	والشاة ممكنة لمن هو مرتم
فكأنما التفتت بجيد جداية	∴	رشأ من الغزلان حرٍّ أرثم
نبئت عمراً غير شاكر نعمتي	∴	والكفر مخبثة لنفس المنعم (١)

(١) الديوان ص٢١٣ ، ٢١٤

يتجلى الاستلاب هنا – أيضا – صريحاً ، فهذه المرأة الجميلة / المحبوبة حلّت لغيره بالزواج ، وحرمت عليه ، وهذا سبب قوي لتركها ، لأنها تزوجت وحلت لغيره ، ولكنه لما كان مستلباً ، ما زال متعلقا بها ، ويجري خلف السراب ،والأمل المكذوب ، فيرسل الجارية تتتبع أخبارها ، وفي قوله " فتحسسي " دلالة على شدة التخفي ، لخطورة المهمة ، وفي قوله " حرمت عليّ وليتها لم تحرم " يتجلى الاستلاب واضحا في جمعه بين اليأس والآمال الخداعات ، والتمني المشبوب بالحسرة والحزن على ضياع عبلة / الحلم ، وهو هنا – أيضا – لا يملك إلا الارتداد إلى الماضي ، والتغني بالبطولات

ومن خلال تتبعنا للاستلاب العاطفي نجد عنترة كأنه مزدوج الشخصية ، فهو أمام عبلة خاضع مستكين مستلب ، مقتول لا يستطيع المقاومة والمواجهة ، وأمام الأعداء شخص آخر ، شرس يستخدم القسوة والقوة المفرطة في التقتيل والتمثيل بالقتلى والأعداء .

وأنه كان في استلابه لا يستطيع مجابهة الواقع ومواجهته ، فيرتد إلى الماضي ، ويجتر الذكريات والأحلام والأماني ، وكلما كان الاستلاب من عبلة قوياً وتجاهلها له ، وإذلالها إياه مؤثرا ، كان الارتداد وتذكر البطولة وقتل الأعداء مماثلا له في القوة والعنف ، فبينهما تناسب طردي ، وكأنه – بذلك – يجعل الماضي في مواجهة الحاضر ، حتى يحدث توازنا نفسيا له ، والماضي الذي صوره عنترة بناه كله – في رأيي – على الخيال ، ولذلك نجد كل ارتداد صدّره وبناه على الجر، ب " رب " المحذوفة ، إذ التقدير: ورب حليل غانية ، ورب مدجج ، ورب مشك سابغة فهي صور ليست حقيقية ، وإنما هي متخيلة ، يشتفي فيها من استلابه الواقعي ، ويغسل فيها همومه ، ويصور فيها الأبطال وهم مستلبون مثله كما بينت .

رابعاً : الاستلاب الاجتماعي (العصبية القبلية).

لا يخلو شعر شاعر جاهلي – عدا الصعاليك – من الذوبان في القبلية والتماهي معها ، فهو يدور في فلكها ، ويتغنى بآمالها والآمها ، ويشيد بذكرها ، فيرهب الأعداء ، ويكثّر الحلفاء .

ويتجلى الاستلاب القبلي واضحاً في قول دريد بن الصمة (فارس هوازن):

وما أنا إلا من غزية إن غوت ∴ غويت وإن ترشد غزية أرشد[١]

وقد وقف عمرو بن كلثوم شعره كله – تقريباً – على قومه ، والتغني بأمجادهم وبطولاتهم ، وقد تجلى ذلك واضحاً في معلقته :

ألا هبّي بصحنك فاصبحينا ∴ ولا تبقي خمورا لأندرينا[٢]

فجاءت المعلقة كلها بضمائر الجمع التي تدل على انسحاق شخصيته وذوبانها في قبيلته ، واستلاب هويته الشخصية ، وهذا ما جعل القبيلة كلها تردد هذه القصيدة وتحفظها ، حتى عابوهم بذلك :

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة ∴ قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يفاخرون بها مذ كان أولهم ∴ يا للرجال لفخر غير مسؤوم[٣]

---

(١) ديوان دريد بن الصمة ص٦٢ تحقيق د/ عمر عبد الرسول – دار المعارف من دون تاريخ
(٢) ديوان عمر بن كلثوم ص٦٤
(٣) ينظر : البيان والتبيان للجاحظ ص٤ / ٤١ تحقيق وشرح / عبد السلام هارون دار النشر/ مكتبة الخانجي – القاهرة – الطبعة السابعة ١٤١٨ه –١٩٨٨م وينظر : الأغاني لأبي فرج الأصفهاني ١١/ ٥٧ الشعر والشعراء لابن قتيبة ١ / ٢٣٠ ، الممتع في صنعة الشعر لعبد الكريم النهشلي القيرواني ١ / ٥٤ تحقيق / د / محمد زغلول سلام – منشأة المعارف – الإسكندرية – مصر . ، شرح المعلقات السبع للزوزني ١/ ٢١٣ دار إحياء التراث العربي الطبعة الأولى ١٤٢٣ ه – ٢٠٠٢ م .

وما فعل الشعراء ذلك إلا لأن القبيلة هي القوة والظهير والسند ، وإذا أفرد الرجل من قبيلته وخلع تخطفته ذؤبان العرب ، وهان على الناس أمره ، وضعفت شوكته ، ومن هنا انخرط الشعراء واشتبكوا مع قبائلهم في معارك وحروب لم تجنها أيديهم ، ولم يسعروا نارها ، وعلى الرغم من أن عنترة قد عانى من قومه ، وذاق الإهانة والذل على أيديهم ،حينما عاملوه معاملة العبد ، وعيّروه بلونه ، حتى إنه يوه حديثه إلى والده الذي سامه العذاب – قائلاً :

المال مالكم والعبد عبدكم ∴ فهل عذابك عني اليوم مصروف (١)

رغم كل ذلك لم يستطع الفكاك من أسر القبيلة ، فتذوب شخصيته فيها ، ويستلب معها ، فيخوض حروبها ، ويدافع عنها، ومن ذلك قوله :

ولقد حفظت وصاة عمي بالضحى ∴ إذ تقلص الشفتان عن وضح الفم

في حومة الحرب التي لا تشتكي ∴ غمراتها الأبطال غير تغمغم

إذ يتقون بي الأسنة لم أخم ∴ عنها ولو أني تضايق مُقَدمي

لما رأيت القوم أقبل جمعهم ∴ يتذامرون كررت غير مذمم

يدعون عنتر والرماح كأنها ∴ أشطان بئر في لبان الأدهم

ما زلت أرميهم بثغرة نحره ∴ ولبانه حتى تسربل بالدم

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها ∴ قيل الفوارس ويك عنتر قدّم (٢)

---

(١) الديوان ص ٢٧٠

(٢) السابق ص ٢١٥: ٢١٩

يبدو أن عنترة قد دخل هذه الحرب التي لا ناقة له فيها ولا جملا استجابة لوصية عمه ، ولست أدري لم ذكر عمه دون أبيه، فالمشهور الشائع أنه دخل الحرب حينما قال له أبوه – ولم يكن معترفا به – كرّ ، فقال : العبد لا يحسن الكرّ ، وإنما الحلب والصرّ . فقال له : كرّ وأنت حر ، فانخرط في القتال . (١)

واشترك في المعركة لأنه أصبحت له هوية ، وينتسب إلى قبيلة.

ولكنه – هنا – ذكر وصية عمه . هل لأنه غاضب من أبيه ؟!

أم لأن عمه كان وعده بالزواج من عبلة ؟!

ربما هذا أو ذاك !!

ما يعنينا هو أن عنترة قد دخل هذه الحرب استجابة للقبيلة ، ولكن من يتأمل الأبيات يشعر أن عنترة يسخر من قومه ويهينهم ، فلا يظهر في المعركة فارس غيره ، ويظهر قومه في صورة الجبناء ، فعندما تشتد الحرب يجبنون ، ويتقون به الرماح ، فهو الجريء ، يقدمه قومه للموت ، ويتقون به الأعداء .

(١) ينظر : الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/ ٢٤٣ ، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٨ / ٢٤٦ ، شرح المعلقات السبع للزوزني ١ / ٢٣٧ ، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر البغدادي ١ / ١٢٨ تحقيق وشرح / عبد السلام محمد هارون – مكتبة الخانجي – القاهرة – الطبعة الرابعة ١٤١٨ه – ١٩٩٧م ، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي ٢ / ٥٢ – أشرف على تحقيقه وتتصحيحه لجنة من الجامعيين – مؤسسة المعارف – بيروت .

وحينما يهجم عليهم الأعداء ، يحثون بعضهم البعض علي الفتك بقومه ، يكرّ عليهم وحده ، ويصدهم محموداً غير مذموم ، ثم لانسمع لهم صوتاً في هذه المعركة إلا وهم يستغيثون به وينادونه ، طالبين منه ومن فرسه الحماية من السهام التي تمطرهم بلا انقطاع .

ثم يختم لوحته بأن "أمرهم له بالتقدم شفاء لنفسه ، لما ينال في تقدمه من الظفر بأعدائه ، ولما يكتسب بذلك من الرفعة وعلو المنزلة" (١)

وهذا الاستلاب ليس كاستلاب عمرو بن كلثوم – مثلاً – الذي لا تكاد تميزه من بين أبطال القبيلة وفرسانها ، وهذا واضح من ضمائر الجمع التي شملت القصيدة كلها، والتي تدل علي الامتزاج والتماهي في القبيلة .

أما عنترة ، فعلي الرغم من تحدثه عن معركة يخوضها مع قومه ، إلا أن صوته جاء منفرداً ، دلالة علي شعوره بالوحدة والاغتراب ، وكذلك ضمائره

جاءت مفردة ، من أول اللوحة التي رسمها للمعركة حتي نهايتها : (حفظت ، عمي، يتقون بي ، مقدمي ، لما رأيت ، كررت ، ما زلت أرميهم ، شفي نفسي)

أما صوت القبيلة فلم يظهر إلا في مشهد الاستغاثة به ، والصراخ والعويل طلبا لحمايتهم من سهام ورماح أعدائهم ، وكأنهم – لسخريته منهم – نساء فهو يذكرنا بقول زهير في هجاء حصن بن بدر الفزاري وقومه :

وما أدري وسوف إخال أدري ∴ أقوم آل حصن أم نساء (٢)

---

(١) الديوان ص ٢١٩

(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى ص ١٣

وكأن عنترة يتخيل حرباً يكون دوره فيها دور المخلص والمنقذ ، ويسمع فيها صراخ وعويل من عيّروه بلونه ، وانتقصوا من منزلته ومكانته، وحرموه ممن أحب ، فكأنها حرب نفسية يخوضها مع هؤلاء ، ولذلك ختمها بقوله : ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها .....

وقد كرر مرض نفسه وشفائها في غير هذا الموضع فقال :

شفى النفس منى أو دنا من شفائها ∴ ترديهم من حالق متصوب [١]

فهو مريض النفس، وسبب مرضه – في المعلقة – استلاب قومه له، وانتقاصهم من حقه ، وعدم الاعتراف بفضله ، ولذلك مزج حديثه في الدفاع عن قومه بالسخرية اللاذعة ، ففيها شفاء نفسه وعلاجها .

ويتجلى التهكم والسخرية في قوله : قيل الفوارس ويك عنتر قدّم....

فلو كانوا فوارس حقيقة لما خافوا وما ذعروا ، وتترسوا به ، وطالبوه بالإقدام وحده ،وحالة الذعر والهلع هذه هي التي شفت نفسه من أسقامها وأمراضها ، وهذا دلالة على أنه كان يعاني استلابا قبليا عنيفا ، جعله ممزقا بين الفردية والقبلية ، وبين الحرية والعبودية ، وبين الحب والصد ،والهجر والحرمان . [٢]

---

(١) الديوان ص ٢٧٩

(٢) ينظر : الاغتراب وتحدياته عند الشعراء الفرسان في العصر الجاهلي – إعداد الطالب / نديم يوسف المبيضين ص ٩٥ – دراسة مقدمة إلى كلية الدراسات العليا استكمالا لمتطلبات الحصول على الدكتوراه في اللغة العربية ، قسم اللغة العربية وآدابها – جامعة مؤتة ٢٠١٧م

خامساً : استلاب الحرية (اللون)

لقد كانت عبودية عنترة ، وسواد لونه ، وأنه ابن أمة سوداء ، كان كل ذلك سبباً في إحساسه بالاستلاب والاغتراب ، وقد ظهر ذلك في المعلقة، وتجلى واضحاً في التغني ببطولته الفردية التي هي أقرب إلى العزلة ، والابتعاد عن القبيلة والسخرية منها – كما بينت في الاستلاب الاجتماعي – وهذا على خلاف عادة الشعراء الجاهليين الذين ذابوا في قبائلهم كعمرو بن كلثوم ، ودريد بن الصمة وغيرهما من الشعراء .

وعلى الرغم من أن عنترة قد نال حريته بعد أن أعتقه والده ، واعترف به ، وألحقه بنسبه ، إلا أنه كان مستلباً ، معيراً بسواد لونه ، وهذا ما عانى منه عنترة في الواقع ، فقد قيل إن سبب نظمه لمعلقته تعييره بلونه ، ولون أمه وإخوته ، فقد جلس " يوماً في مجلس من بعد ما كان أبلى واعترف به أبوه وأعتقه ، فسابّه رجل من بني عبس وذكر سواده وأمه وإخوته " [١]

وهنا نجد الاستلاب واضحا من بني قومه ، فهم يرونه – دائما – أقل منهم شأناً ومقاماً ، وهذا ما سبب له عقدة نفسية لازمته طوال المعلقة ، فقد شاع السواد فيها كلها ، وجاء في صور كثيرة ومتنوعة.

* ومن ذلك قوله في حديثه عن ديار المحبوبة ، وبثه شكواه وحزنه إلى الأثافي السفع ، فيقول :

ولقد حبست بها طويلا ناقتي ∴ أشكو إلى سفع رواكد جثّم[٢]

---

(١) الديوان ص ١٨١

(٢) السابق ص ١٨٣

فهنا يتوجه عنترة بالشكوى إلى أحجار الكانون ، وجعلها ساكنة ملتصقة بالأرض ، وقد جعلها سفعاً " والسفع السود تضرب إلى حمرة ، وكذلك لون الأثافي"(١)

فمما لاشك فيه أن الآثار الموجودة في الدار كثيرة ، ولكنه عمد إلى الأحجار السوداء فقط وبثها شكواه ، وما ذلك إلا لانعكاس هذا اللون على نفسه ، وعلى صورته الخارجية .

* واختار لرحلة المحبوبة الزمن الأسود المظلم ، فقال :

إن كنتِ أزمعت الفراق فإنما ∴ زمّت ركابكم بليلٍ مظلم(٢)

* ثم ركز عدسته على إبل الرحلة السوداء فقط ، وشبهها بالغراب الأسود ، وجعل طعامها (حب الخمخم) وهو أسود ، فقال :

ما راعني إلا حمولة أهلها ∴ وسط الديار تسف حب الخمخم (٣)

فيها اثنتان وأربعون حلوبة ∴ سوداً كخافية الغراب الأسحم (٤)

* وجعل فرسه أدهماً ، أي أسوداً مشوباً بحمرة فقال :

تمسي وتصبح فوق ظهر حشية ∴ وأبيت فوق سراة أدهم ملجم (٥)

---

(١) الديوان ص ١٨٣
(٢) السابق ص ١٨٨
(٣) السابق ص ١٨٨
(٤) السابق ص ١٩٣
(٥) السابق ص ١٩٨

وقد نص على جواده الأدهم مرة ثانية وذلك في حربه فقال :

يدعون عنتر والرماح كأنها ∴ أشطان بئر في لبان الأدهم (١)

* وشبه الظليم (ذكر النعام) بالعبد الأسود ذي الفرو فقال :

صعل يعود بذي العشيرة بيضه ∴ كالعبد ذي الفرو الطويل الأصلم (٢)

*وشبه عرق ناقته بالقطران الأسود الذي طبخته وأوقدت عليه النار الإماء السوداء فقال :

وكأن رُبّاً أو كحيلاً معقداً ∴ حشّ القيان به جوانب قمقم (٣)

*وحينما أرسل رسولاً يستطلع له أخبار المحبوبة جعله جارية سوداء :

فبعثت جاريتي فقلت لها اذهبي ∴ فتحسسي أخبارها لي واعلمي (٤)

وهكذا نجد أن السواد قد شاع في تشبيهاته وصوره ، وهذا يشعرنا بالحرية المستلبة ، بسبب لونه الأسود ، الذي انعكس على كل ما حوله من زمان ومكان ، والأشخاص والحيوان ، ولذلك وجدناه يغني في القصيدة منفرداً ، ويقاتل منفرداً ، فبسبب لونه فقد المحبوبة ، وعاش قلقاً مضطرباً ، لم يشعر بالأمان والاستقرار حتى وهو بين قومه ، فكان سجين لونه .

---

(١) الديوان ص ٢١٦
(٢) السابق ص ٢٠١
(٣) السابق ص ٢٠٤
(٤) السابق ص ٢١٣

سادساً : استلاب الحيوان

من ينعم النظر في المعلقة يجدها كلها تدور في فلك الاستلاب ، فكل ما فيها مستلب من إنسان وحيوان وجماد ، فرأينا فيها الجماد ممثلا في الطلل قد استلب الزمان جدته وقوته وسعادته ، فهدمه وصيّره خاويا على عرشه .

وكذلك جاء الإنسان فيها مستلباً ، وقد تجسد ذلك في شخصية عنترة أمام عبلة، وقومه ، وفي صورة الأبطال الذين نازلهم عنترة في معاركه فأزهق أرواحهم ، واستلب حياتهم .

حتى الحيوان في المعلقة جاء مستلباً وذلك في لوحتين :

*الأولى: استلاب الناقة

وذلك في قوله في مشهد الطلل :

ولقد حبست بها طويلا ناقتي ∴ أشكو إلى سفع رواكد جثّم

فوقفت فيها ناقتي فكأنها ∴ فدن لأقضي حاجة المتلوم (١)

فانظر كيف اختار كلمة " حبست " المشعرة بتقييد الحرية ، وعدم امتلاك الإرادة ، وحرية الاختيار ، وقد استمر هذا الحبس طويلا ، ثم تظهر الإبل في لوحة الفراق والرحلة ، وهي – أيضا – مستلبة تشد عليها الأمتعة في الليل البهيم المظلم ، وقد جعل طعامها أسوداً كليلها ، بل جعلها هي سوداء فقال :

إن كنت أزمعت الفراق فإنما ∴ زمّت ركابكم بليل مظلم

(١) الديوان ص ١٨٣ ، ١٨٤

ما راعني إلا حمولة أهلها ∴ وسط الديار تسف حب الخمخم (١)

فيها اثنتان وأربعون حلوبة ∴ سودا كخافية الغراب الأسحم (٢)

فالإبل قد " زمت " أي شدت وخطمت بالأزمّة ، فهي مستلبة لا تملك أمر نفسها، وإذا كانت في لوحة الطلل حبيسة ، فهي هنا مخطومة بالأزمة والحبال ، فهي مستلبة منقادة .

ثم يرحل وراء المحبوبة ، وقد اختار لرحلته ناقة مستلبة كإبل الرحلة فقال :

هل تبلغنّي دارها شدنيّة ∴ لعنت بمحروم الشراب مصرّم (٣)

فقوله : لعنت بمحروم الشراب مصرم ، إنما يريد " أن ضرعها قد حرم اللبن فذاك أوفر لقوتها وأصلب لها فتلعن ويدعى عليها على طريق التعجب من قوتها ، والمصرّم المقطوع اللبن " (٤)

وهكذا نرى ناقته قد حرمت الضراب والولادة والرضاعة ، فهي مستلبة، أعدت للسفر وقطع الرحلات الشاقة الطويلة الموحشة فقط .

*اللوحة الثانية : استلاب الخيل .

ذكرت أن حصان عنترة يعد معادلاً موضوعياً له، فإذا كان عنترة يخوض غمار الموت غير هيّاب ولا ورع ، يتحامل على الآلآم والأوجاع ،

---

(١) الديوان ص ١٨٨
(٢) السابق ص ١٩٣
(٣) السابق ص ١٩٩
(٤) السابق ص ١٩٩

فكذلك نجد حصانه مثله تماما ، ومن ذلك قوله بعد أن تعرض لطعنة نجلاء من عبلة ، حينما تجاهلته ، وأظهرت عدم معرفتها به وببطولاته ، يقول :

هلّا سألت الخيل يا ابنة مالك ∴ إن كنت جاهلة بما لم تعلمي

إذ لا أزال على رحالة سابح ∴ نهد تعاوره الكماة مكلّم

طورا يعرض للطعان وتارة ∴ يأوي إلى حصد القسي عرمرم[1]

يخلع عنترة على الخيل صفات الإنسان ، ولذلك يطالب عبلة بأن تسألها والأصل : هلّا سألت الفرسان ، ولكنه استعاض عن الفرسان بالخيل، وكأنه يتوحد مع الخيل ، وينصهر فيها ، فهي عليمة ببطولاته وشجاعته ، لملازمتها له .

ولحبه لفرسه يجعله بين الشرط والجزاء ، إذ الأصل : هلّا سألت .... يخبرك ، ولا يفصل بين أجزاء الكلام المتلاحم إلا بشيء معتبر ذي قيمة وأهمية ، وأصيل

ولما كان عنترة مستلبا ، ولا يستطيع مواجهة المحبوبة / عبلة ، نجد فرسه أيضا مستلبا مثله ، حيث صوره وقد تناوبت الفرسان على جرحه وإيلامه وإصابته(تعاوره الكماة مكلم) .

ثم يمتزج عنترة بفرسه المكلوم ، فلا نعرف من منهما الذي يعرّض للطعان تارة ، وتارة أخرى يأوي إلى جيش كبير ، ذي قسي كثيرة :

طورا يعرض للطعان وتارة ∴ يأوي إلى حصد القسي عرمرم

(١) الديوان ص ٢٠٧ ، ٢٠٨

أي " مرة يطاعن على هذا الفرس ومرة يأوي إلى جيش كثير ملتف ذي قسي كثيرة " (١)

وأرى أنه لو قصد هذا المعنى لقال : طورا أعرض .... وتارة آوي..

ولكنه – كما قلت – امتزج وتوحد مع حصانه ، فلا ندرى أيهما يطاعن مرة ويأوي إلى جيش كثير مرة أخرى .

ولكن لما كانا مستلبين معاً ، توحّدا وصارا جسداً واحداً ، وروحاً واحدة ولذلك فهما يتحاوران ويتشاكيان ، ويفهم كل منهما الآخر ، ويدافع كل منهما عن الآخر في صبر وقوة تحمل ، يقول عنترة وهو في غمرة الاستلاب القبلي الاجتماعي :

لما رأيت القوم أقبل جمعهم ∴ يتذامرون كررت غير مذمم

يدعون عنترة والرماح كأنها ∴ أشطان بئر في لبان الأدهم

مازالت أرميهم بثغرة نحره ∴ ولبانه حتى تسربل بالدم

فازورّ من وقع القنا بلبانه ∴ وشكا إلى بعيرة وتحمحم

لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ∴ أو كان يدري ما جواب تكلمي

والخيل تقتحم الخَبارَ عوابساً ∴ ما بين شيظمة وأجرد شيظم (٢)

نلاحظ أن عنترة في شدة الضيق ، وهجوم الأعداء عليه ، وعلى قومه ، قد كرّ و لم يجبن ، ودافع عن قومه ، ولم يدخر جهداً ، وهذا يدل على شجاعته ، وهو في تلك الحال لم ينس فرسه ، فهو مثله شجاع ،لا يفر

(١) الديوان ص٢٠٨

(٢) السابق ص ٢١٦ : ٢١٨

ولا يجبن ، ولذلك نجده يكرر كلمة "لبانه" أي صدره ، وهي تدل على الإقبال، وهو مثله مستلب ، فهو يحارب ويقاتل والرماح في صدره موصولة لا تنقطع كأشطان البئر ، حتى اكتسى بالدم ، وهنا ظهرت شكواه لصديقه وتوأمه فقط ، وكانت الشكوى عن طريق العبرة والتحمحم . وتتشابه كلمة " تحمحم " هنا مع قوله قبل ذلك عن الفرسان في المعركة " تغمغم " :

في حومة الموت التي لا تشتكي ∴ غمراتها الأبطال غير تغمغم (١)

فالشكاية من الأبطال وجواده في وقت الشدة تكاد تكون واحدة ، فالتغمغم من الأبطال هو الكلام الخفي المختلط . (٢)

وكذلك التحمحم من الفرس هو : الصوت الخفي . (٣)

وكذلك تتشابه الخيل مع الأبطال في أنها تخوض الحرب مكشرة عن أنيابها ويبد وعليها العبوس ، فيقول عنها مصوراً ذلك :

والخيل تقتحم الخبار عوابساً ∴ ما بين شيظمة وأجرد شيظم

وكذلك يدخل الأبطال الحرب :

لما رآني قد قصدت أريده ∴ أبدي نواجذه لغير تبسم (٤)

فعنترة يسقط فرسه على نفسه – كلاهما مستلب – فالصفات التي يخلعها على جواده تتشابه مع صفاته من صبر على لقاء الأعداء ، وتحمل الآلام والشدائد ، والشجاعة والإقدام وقت هرب الفرسان .....الخ

---

(١) الديوان ص٢١٥

(٢) ينظر : السابق ص٢١٥

(٣) ينظر : السابق ص٢١٨

(٤) السابق ص٢١٢

فبه يتقون الأسنة والرماح :

إذ يتقون بي الأسنة لم أخم ∴ عنها ولو أني تضايق مقدمي(١)

وكذلك يتقون بفرسه الأسنة والرماح :

يدعون عنتر والرماح كأنها ∴ أشطان بئر في لبان الأدهم (٢)

(٢)

وهذا الفرس مستلب ، يعجز عن الإفصاح بمكنونات نفسه ، وما بـــه من جراح والآلام :

لو كان يدري ما المحاورة اشتكي ∴ أو كان يدري ما جواب تكلمي(٣)

فكلاهما عاجز عن مواجهة الواقع المرير ، هائم في دنيا الخيال ، لا يشعر بمعاناته أحد ، ولا يدري بشكواه أحد .

---

(١) الديوان ص٢١٥

(٢) السابق ص٢١٦

(٣) السابق ص٢١٨

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين ، ثم أما بعد .

فقد توصل البحث إلى عدة نتائج من أهمها : –

- أن المعلقة كلها قامت على الاستلاب ، وقد تنوع هذا الاستلاب وتعدد ، فمنه المكاني ، والزماني ، والعاطفي ، والقبلي ، .....الخ
- تجسد الصراع بين الماضي والحاضر في الاستلاب بين : المكاني والزماني ، وقد تسبب هذا في إحداث صدمة نفسية للشاعر فقد على اثرها التوازن النفسي والعقلي ، فلم يعرف المكان ، ولم يهتد إليه إلا بعد جهد ومشقة .
- سيطر الزمن المظلم على الشاعر فجعل زمن رحلة المحبوبة الليل المظلم، شديد السواد ، ولم ير من إبل الرحلة إلا السوداء ، وهذا انعكاس لنفسيته المظلمة الحزينة .
- في استلاب عنترة العاطفي تلقى طعنات كثيرة من عبلة التي لم تكن تبادله الحب ، وقد استخدم منهجاً فنياً واحداً في معالجة هذه الجراح ، وتلك الطعنات ، فهو لم يكن يستطيع مواجهة الواقع الأليم ، حيث تتجاهله عبلة وتسخر منه وتصده ، فيرتد إلى الماضي يجتر الذكريات ويقتل الأبطال ، وكأنه مزدوج الشخصية ، فهو أمام عبلة خاضع مستكين ، مستلب مقتول ، لا يستطيع المواجهة ، وكلما كان الاستلاب من عبلة

قوياً كان الارتداد وتذكر البطولة وقتل الأعداء ، مماثلاً لـــه فـــي القـــوة والعنف ، فبينهما تناسب طردي ، وكأنه بذلك يجعل الماضي والخيال في مواجهة الحاضر والحقيقة ، حتى يحدث توازناً نفسياً له.

- في الاستلاب الاجتماعي ، نرى عنترة يدخل معـــارك القبيلـــة مســـتلباً ، ولذلك يسخر من قومه ويهينهم ، فلا يظهر في هذه المعركة فارس غيره ويظهر قومه في صورة الجبناء عندما تشتد الحرب يجبنون ، ويتقون به الرماح ، فهو الجريء يقدم قومه ، ويتقون به الرماح والأعداء .
- شكلّ اللون عند عنترة عقدة نفسيه له ، جعلته يشعر بالاســـتلاب مـــن قومه ،ومن المحبوبة ، وقد تجلى أثر الســـواد وشـــاع فـــي تشـــبيهاته وصوره.
- لأن عنترة مستلب جعل الحيوان – أيضا – مستلباً ، وظهر أثر الاستلاب في الناقة ، والفرس ، الذي جعله معادلاً موضوعياً لـــه فـــي الشـــجاعة والقوة والصبر في مقاتلة الأعداء ، وكثرت الجراحات والآلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الباحث

مصطفى أحمد عبد اللاه جابر

أستاذ مساعد بقسم الأدب والنقد

كلية اللغة العربية بجرجا

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

فهرس المصادر والمراجع

- الإبانة في اللغة العربية لسلمة بن مسلم العوتبي الصحاري – تحقيق د/ عبد الكريم خليفة ، د/ نصرت عبد الرحمن ، د/ صلاح جرار ، د/ محمد حسن عواد ، د/ جاسر أبو صفية ، الناشر / وزارة التراث القومي والثقافي – مسقط – سلطنة عمان – الطبعة الأولى ١٤٢٠ه – ١٩٩٩م.
- أساس البلاغة للزمخشري – تحقيق / محمد باسل عيون السود – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٩ه – ١٩٩٨ م .
- الاستلاب في الشعر الجاهلي – محمد راوي – مجلة الآداب – العدد ٨ – جامعة منتوري قسنطينة – كلية الآداب واللغات – قسم اللغة العربية وآدابها ٢٠٠٥م .
- أشعار الشعراء الستة الجاهليين للأعلم الشنتمري من دون تاريخ .
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني – تحقيق / سمير جابر – دار الفكر بيروت – الطبعة الثانية – من دون تاريخ .
- الاغتراب وتحدياته عند الشعراء الفرسان في العصر الجاهلي – إعداد الطالب / نديم يوسف المبيضين – دراسة مقدمة إلى كلية الدراسات العليا استكمالاً لمتطلبات الحصول على الدكتوراه في اللغة العربية – قسم اللغة العربية وآدابها جامعة مؤتة ٢٠١٧ م .
- بناء الرواية (دراسة في الرواية المصرية) د / عبد الفتاح عثمان مكتبة الشباب – القاهرة – الطبعة الأولى١٩٨٢م .

- البيان والتبيين للجاحظ – تحقيق وشرح / عبد السلام هارون – مكتبة الخانجي – القاهرة – الطبعة السابعة ١٤١٨ه – ١٩٨٨م .
- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي – تحقيق / مجموعة من المحققين – الناشر / دار الهداية – من دون تاريخ .
- التذكرة الحمدونية لبهاء الدين البغدادي – دار صادر – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٧ه .
- تهذيب اللغة للأزهري – تحقيق / عبد السلام محمد هارون – راجعه / محمد علي النجار – الناشر / دار القومية العربية للطباعة ١٣٨٤ه – ١٩٦٤ م .
- الجامع الكبير (سنن الترمزي) تحقيق / بشار عواد معروف – دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٩٩٨ م .
- جمهرة اللغة لابن دريد – تحقيق / رمزي منير بعلبكي – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٨٧م .
- جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب لأحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي – أشرف على تحقيقه وتصحيحه لجنة من الجامعيين – الناشر / مؤسسة المعارف – بيروت .
- خزانة الأدب ولب لبنان لسان العرب لعبد القادر البغدادي تحقيق وشرح / عبد السلام محمد هارون – مكتبة الخانجي – القاهرة – الطبعة الرابعة ١٤١٨ ه – ١٩٩٧ م .

- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي – مطبعة دار المعارف – الطبعة الرابعة – من دون تاريخ .
- ديوان الأعشى (ميمون بن قيس) شرح وتعليق الدكتور م . محمد حسين – الناشر / مكتبة الآداب بالجماميز – المطبعة النموذجية ١٩٥٠ م .
- ديوان امرئ القيس اعتنى به وشرحه / عبد الرحمن المصطاوي دار المعارف – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ١٤٢٥ ه – ٢٠٠٤ م .
- ديوان امرئ القيس وملحقاته بشرح أبي سعيد السكري – دراسة وتحقيق د / أنور عليان أبو سويلم ، د/ محمد على الشوابكة – إصدارات مركز زايد للتراث والتاريخ – الإمارات العربية المتحدة – العين – الطبعة الأولى ١٤٢١ ه – ٢٠٠٠ م .
- ديوان أمية بن أبي الصلت – جمع وتحقيق د / سميح جميل الجبيلي – دار صادر – بيروت – الطبعة الأولى ١٩٩٨ م .
- ديوان البحتري – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤٠٧ ه – ١٩٨٧ م .
- ديوان دريد بن الصمة – تحقيق د / عمر عبد الرسول – دار المعارف – من دون تاريخ .
- ديوان زهير بن أبي سلمى اعتنى به وشرحه / حمدو طماس – دار المعارف – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ١٤٢٦ ه – ٢٠٠٥ م .

- ديوان الشنقري – جمعه وحققه وشرحه / د / إميل بديع يعقوب – الناشر /دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثانية ١٤١٧ ه – ١٩٩٦ م .
- ديوان طرفة بن العبد – اعتنى به / حمدو طماس ، عبد المجيد المصطاوي – دار المعرفة – بيروت – لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٤ ه – ٢٠٠٣ م .
- ديوان عمرو بن كلثوم – جمعه وحققه وشرحه /إميل بديع يعقوب الناشر / دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثانية ١٤١٦ ه – ١٩٩٦ م .
- ديوان عنترة – دار صادر – بيروت – من دون تاريخ .
- ديوان عنترة – تحقيق ودراسة / محمد سعيد مولوي المكتب الإسلامي بحث ماجستير – كلية الآداب – جامعة القاهرة ١٩٦٤ م .
- ديوان كثير عزة – شرح / قدري مايو – مطبعة – دار الجبل – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى ١٤١٦ ه – ١٩٩٥ م .
- سنن أبي داود – تحقيق / شعيب الأرنؤوط ، محمد كامل قرة بللي – دار الرسالة العالمية – الطبعة الأولى ١٤٣٠ ه – ٢٠٠٩ م .
- سنن البيهقي الكبرى للبيهقي – تحقيق / محمد عبد القادر عطا – مكتبة دار الباز – مكة المكرمة ١٤١٤ ه – ١٩٩٤ م .
- سنن الدارمي تحقيق / حسين سليم أسد الداراني – الناشر / دار المغني للنشر والتوزيع – المملكة العربية السعودية – الطبعة الأولى ١٤١٢ ه – ٢٠٠٠ م .

- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي (معجز أحمد) لأبي العلاء المعرى تحقيق ودراسة د / عبد المجيد دياب . الطبعة الثانية ١٤١٣ ه – ١٩٩٢م .
- شرح القصائد العشر للتبريزي / عنيت بتصحيحها وضبطها والتعليق عليها للمرة الثانية : إدارة الطباعة المنيرية ١٣٥٢ ه
- شرح المعلقات السبع للزوزني – دار إحياء التراث العربي الطبعة الأولى ١٤٢٣ ه – ٢٠٠٢ م .
- الشعر والشعراء لابن قتيبة – دار الحديث – القاهرة ١٤٢٣ ه .
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري – تحقيق / أحمد عبد الغفور عطا – الناشر / دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الرابعة ١٤٠٧ ه – ١٩٨٧ م .
- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي – تحقيق د / مهدي المخزومي ، د / إبراهيم السامرائي – الناشر / دار ومكتبة الهلال من دون تاريخ .
- فحولة الشعراء للأصمعي – تحقيق د / جميل عبد الله عويضة ١٤٣٠ ه – ٢٠٠٩ م .
- القاموس المحيط للفيروز آبادي – تحقيق / مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف / محمد نعيم العرقصوصي – الناشر / مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – الطبعة الثامنة ١٤٢٦ ه – ٢٠٠٥م .

- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة – تحقيق / كمال يوسف الحوت – الناشر / مكتبة الراشد – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٠٩ ه .
- لسان العرب لابن منظور – تحقيق / عبد الله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي – الناشر / دار المعارف – القاهرة – مصر .
- مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار – لجمال الدين ، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفتني الكجراتي مطبعة دائرة المعارف العثمانية – الطبعة الثالثة ١٣٨٧ ه – ١٩٦٧ م .
- مجمل اللغة لابن فارس – دراسة وتحقيق / زهير عبد المحسن سلطان مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية١٤٠٦ ه – ١٩٨٦ م .
- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده – تحقيق / عبد الحميد هنداوي – الناشر/ دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢١ ه .
- مختار الصحاح لأبي بكر الرازي – تحقيق / يوسف الشيخ محمد الناشر / المكتبة العصرية – الدار النموذجية – بيروت صيدا الطبعة الخامسة ١٤٢٠ ه – ١٩٩٩ م .
- المخصص لابن سيده – تحقيق / خليل إبراهيم جفال – دار ‘حياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الأولى ١٤١٧ ه – ١٩٩٦ م .
- المسند الصحيح المختصر لأبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري مجموعة من المحققين – دار الجبل – بيروت– الطبعة مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة ١٣٣٤ ه .

- معجم ديوان الأدب للفارابي – تحقيق د / أحمد مختار عمر – مراجعة د / إبراهيم أنيس – طبعة مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر – القاهرة ١٤٢٤ ه – ٢٠٠٣ م .
- المعجم الكبير للطبراني – تحقيق / حمدي بن عبد المجيد السلفي – مكتبة ابن تيمية – القاهرة – من دون تاريخ .
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب – مجدي وهبة ، وكامل المهندس – مكتبة لبنان بيروت – لبنان – الطبعة الثانية ١٩٨٤ م .
- مقاييس اللغة لأحمد بن فارس – تحقيق / عبد السلام محمد هارون – دار الفكر ١٣٩٩ ه – ١٩٧٩ م .
- الممتع في صنعة الشعر لعبد الكريم النهشلي القيرواني – تحقيق / د محمد زغلول سلام – منشأة المعارف – الإسكندرية – مصر .
- موسوعة الشعر الإسلامي لمجموعة من المؤلفين .

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــوع	الصفحة
١.	ملخص	٨٩٢١
٢.	Abstract	٨٩٢٢
٣.	المقدمة	٨٩٢٣
٤.	التمهيد ، واشتمل على	٨٩٢٦
٥.	أولاً : عنترة بن شداد	٨٩٢٦
٦.	ثانياً : مفهوم الاستلاب (لغة واصطلاحاً)	٨٩٢٩
٧.	ثالثاً : نص المعلقة	٨٩٣٢
٨.	الاستلاب في المعلقة بين الواقع والخيال	٨٩٣٦
٩.	أولاً : الاستلاب المكاني	٨٩٣٦
١٠.	ثانياً : الاستلاب الزماني	٨٩٤١
١١.	ثالثاً : الاستلاب العاطفي	٨٩٤٦
١٢.	رابعاً : الاستلاب الاجتماعي (العصبية القبلية)	٨٩٦٦
١٣.	خامساً : استلاب الحرية (اللون)	٨٩٧١
١٤.	سادساً : استلاب الحيوان	٨٩٧٤
١٥.	الخاتمة :	٨٩٨٠
١٦.	فهرس المصادر والمراجع	٨٩٨٢
١٧.	فهرس الموضوعات	٨٩٨٩

بحمد الله تعالى